تساؤلات الله

فى

أسفار موسى الخمسة



الأنبا إيساك

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة مارجرجس

الاسكندرية

تسـاؤلات الله

فى

أسفار موسى الخمسة



الأنبا إيساك



اسم الكتـــاب : تساؤلات الله فى أسفار موسى الخمسة

المـــؤلـــف : الأنبا إيساك

الـنـاشـــــر : مكتبة دير السريان

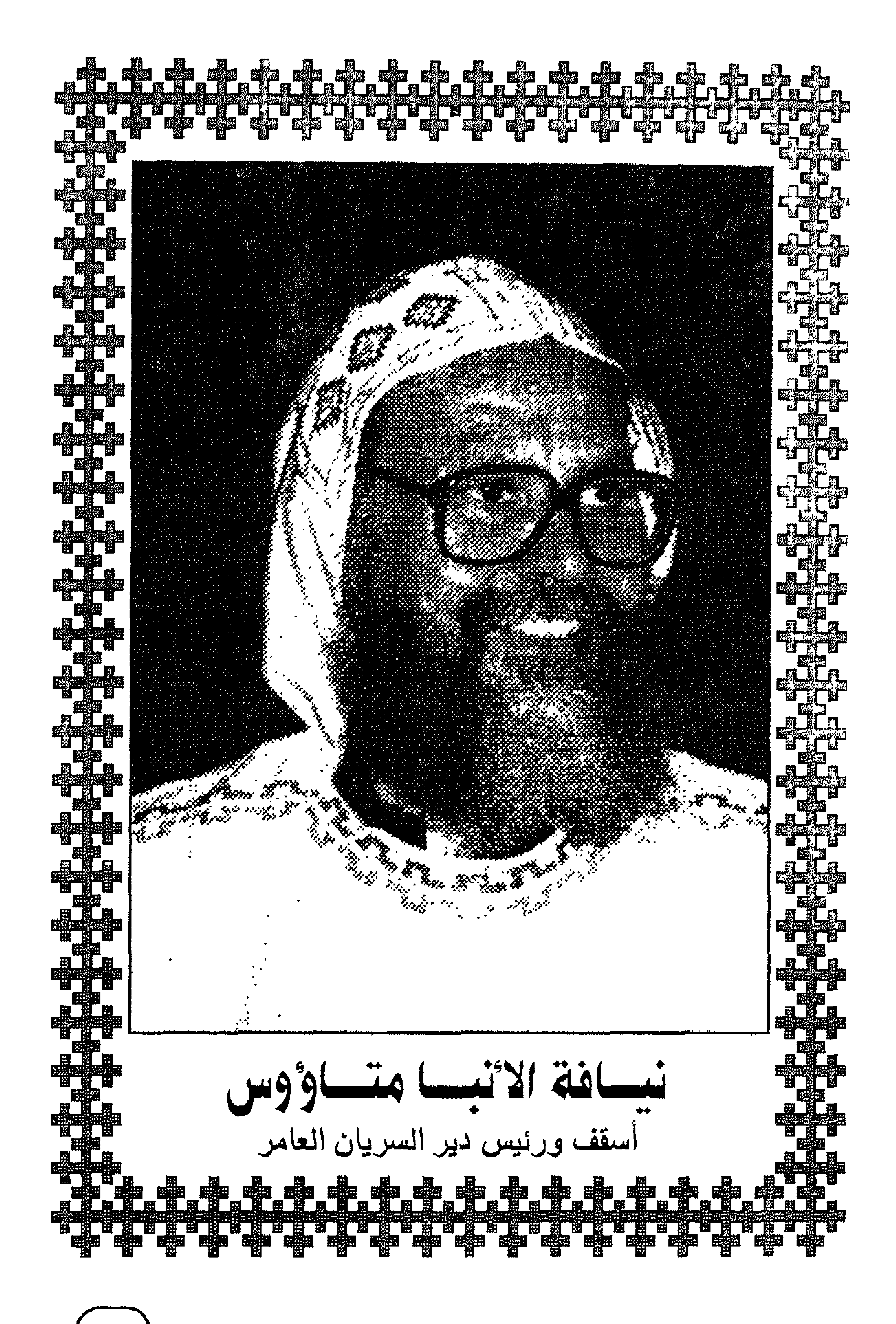
المطبـــعـــة : مطابع طاهر شحاته ت : ٢٣٥٦٤١١ - ٢٣٤٨١٨١

الطبـعـة الأولى : نوفمبر سنة ١٩٩٨

رقـــم الإيـــداع : ١٤٧٠٧ / ٩٨

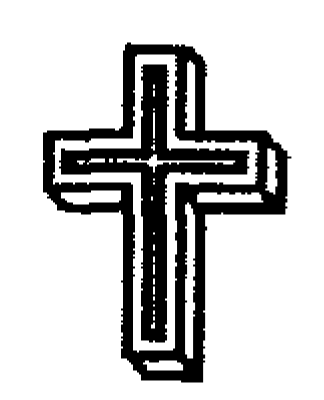

قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الأنبا متاؤوس

أسقف ورئيس دير السريان العامر



المقدمة

بأسم الآب والأبن والروح القدس الإله الواحد آمين

مع أسفار موسى الخمسة [التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية] جلست عند قدمى الله ، أتقبل أقوالاً من فمه ، مع تساؤلاته فى هذه الأسفار . . .

فكانت روعة البقاء في الحضرة الإلهية كما إختبر داود المرتل وقال : « تعرفنى سبل الحياة ، أمامك شبع سرور . فى يمينك نعم إلى الأبد » (مز١٦ : ١١)

تُختتم هذه الأسفار المقدسة ببركة موسى النبى للأسباط الأثنى عشر ، التى أجد أنها تنطبق على حياة الرهبان (ليسامحنى القراء من غير الرهبان ، فإننى أمجد خدمتى) ففى بركة موسى قال :

✞ حبيب الرب (أى الراهب) يسكن لديه آمناً - يستره طول النهار وبين منكبيه يسكن .

✞ وأيضاً (الراهب) الذى قال عن أبيه وأمه لم أرهما ، وبإخوته لم يعترف . . . بل حفظوا كلامك وصانوا عهدك . . . يضعون بخوراً (أى صلواتهم الصاعدة) فى أنفك - ومحرقات على مذبحك (أى التسابيح والأفخارستيا) يغمس فى الزيت رجليه (أى مواهب الروح القدس) وكأيامك راحتك . . .

✞ جميع قديسيه فى يدك وهم (أى الرهبان) جالسون عند قدميك يتقبلون من أقوالك . . . (تثنية ٣٣)

لقد أدركت فى حياتى إدراكات كثيرة ، ولكن المسيح له المجد هو

أعظم إدراكات حياتى على الإطلاق . . . ترى ماذا تكون الحياة بدون المسيح الرب . . . له المجد أبدياً آمين .

يا ليت الحياة كلها تقضى تحت قدمى الله القدير ، فما أضيع الزمان الذى يُقضى بعيداً عن هذه الحضرة الإلهية الممجدة . . .

لقد تعلمت الكثير والكثير جداً مما أوحاه الله إلى موسى فى أسفاره الخمسة . حتى أن بعض الطوائف اليهودية من فرط حماستها لهذه الأسفار ، إكتفت بها ورفضت باقى أسفار العهد القديم ، معتبرة أن أسفار موسى هى الوحى الإلهى كله . . .

إنها بدايات الخلق والسقوط والإفتقاد الإلهى ومواعيد الله للآباء . . . وها أنا أنقل إليك أيها القارىء العزيز ماتفضل الله وجعله فى أفكارى بإذاء تساؤلات الله فى أسفار موسى الخمسة .

راجياً أن يمسحها روح الله القدوس بمسحته المؤثرة فى القلوب .

مجـــــداً للمســـيح

وسلاماً وبنياناً لكنيسة الله . . .

وأود أن أتقدم بالشكر إلى كلَ من تعب معى فى إخراج هذا الكتاب وبالأخص جناب الأب **القس يوأنس السريانى**

الربّ يعوض الجميع أجراً سمائياً

لإلهنا كل المجد أبدياً . . . آمين

٣ النسىء سنة ١٧١٤

٨ سبتمبر سنة ١٩٩٨

عيد رئيس الملائكة رفائيل

(مفرح القلوب)

إيســـاك

ا - صوت يناديك مع فجر النهار

آدم . . . أين أنت ؟ (تك ٣ : ٩)

✝ بمجرد عصيان آدم وحواء دخلا فى عالم الظلمة والإختباء عن النور الإلهى الذى لايدنى منه [١] .

« وأحب الناس الظلمة أكثر من النور » [٢] . . .

الله من جهة أخرى ، هو نور وليس فيه ظلمة البته [٣] .

وحدث الإنفصال « والظلمة لم تدركه [٤] » . . . فى حين أن النور (الذى هو الله) يمكنه أن يضيء فى الظلمة [٥] .

ومع نسمات الفجر المنعشة ، ومع أول شعاع نور من النهار ، يشعر آدم وحواء المختبئان فى الظلام ، بنور الله الكاشف يتسلط عليهما ، بل وينادى عليهما بالسؤال الخالد : آدم . . . أين أنت ؟

✝ حينما كنتّ أخدم فى كنيسة من كنائس المهجر ، القى الشيطان سهام البغضة بين أخين عضوين فى الكنيسة . . . وكان واضحاً إنها من عمل الشيطان لإنهما كانا من أسرة تقية أما أسباب البغضة فكانت تافهة جداً ونجح الشيطان فى إذكاء العداوة بينهما ، حتى وصلت إلى المحاكم ، وإستعان كل أخ بمحام قدير لكى يصدر الحكم فى صالحه فى القضايا التى على أخيه ! وذهب أحد الأخين إلى محاميه يناقش معه سير القضية . . وأثناء الحديث ، إنشغل المحامى لبضع دقائق مع زبون آخر وعاد ليقول : Where we are? أى أين نحن ؟ كى يعودوا إلى الحوار ؛ ولكن الأخ تذكر آية الله لآدم : أين أنت . . . وبدأ يراجع كل مواقفه من أخيه . . . ونخسه قلبه ليتصالح مع أخيه بدلاً من المعاداة

---

(١) ١تى ٦ : ١٦ (٢) يو ٣ : ١٩ (٣) ايو ١ : ٥ (٤) يو ١ : ٥
(٥) يو ١ : ٥

لأنه لايستطيع أن يرد على سؤال الله : أين أنت ؟ بأن يقول إننى فى بغضة لأخى بعكس ما أوصيتنا . . . وطلب من المحامى أن يسعى فى الصلح ويسحب القضايا والغريب أنه وجد من أخيه نفس الإستعداد وتصالحا . . .

والآن هل تشعرين يا نفسى أن الله يسلط نوره عليك وأنت فى مخبأك المظلم بعيداً عنه . . . وينادى عليك بتودد : أين أنت ؟ ترى ماالذى جعلك تتهربين من المثول فى حضرة إلهك ؟ هل بسبب مفاهيم مغلوطة عن إلهك رسبوها فيك ؟ أم بسبب التعقيدات العقيدية التى ألزموك بها ؟ أم بسبب عثرات المدعين والمنافقين ، هربت عن إلهك ؟ هل تصورت أن إلهك سيفتك بك وهو الحنون ؟ هل بعض من يتكلمون ولايعملون شيئاً ، صعبوا أمامك طريق الصلاة والمثول فى الحضرة الإلهية ، ففقدت تلقائيتك وإنطلاقك للحديث مع الله ؟

✞ أخرج أيها الإنسان من مخبأك الواهى وتعال إلى حضرة إلهك ، الذى ينقلك من عالم الظلمة إلى نوره العجيب (١بط٣:٩) .

ومامعنى هذا عملياً ؟ معناه أن تعاود الإلتقاء مع الله فى الصلاة . تشجع وامتثل فى حضرة إلهك ، وهو فى حنانه مستعد أن يحل لك مشكلة خطاياك التى أخطأت بها إليه . الله لايطرد أحداً من حضرته : « من يُقبل إلىّ لاأخرجه خارجاً[١] » الإنسان هو الذى يحرم نفسه بنفسه من بركات الوجود فى الحضرة الإلهية والصلاة . . .

✞ على كل إنسان وكل أسرة وكل كنيسة أن يوجه هذا السؤال

---

(١) يو ٦ : ٣٧

إلى نفسه : أين أنا ؟؟ فاحصاً أعماقه جيداً وهو فى خلوة أمام الله . . .
أين أنا؟ وإلى أين وصلتُ ؟ ، وما الذى جعلنى أصل إلى ماأنا فيه ؟ وإذا وجد الإنسان نفسه فى الطريق الخطأ ، عليه أن يرجع بذاته فوراً إلى الطريق الصحيح . . .

هنا ، أقول مباشرة ، إن طريق العودة إلى الله هو المسيح القائل : « أنا هو الطريق » و « ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى [١] » . المسيح له المجد أتى إلينا فى التيه الذى وصلنا إليه ، أتى إلى الظلمة التى أدخلنا فيها أنفسنا ، وكدنا نهلك ونموت « الجالسون فى الظلمة وظلال الموت أشرق عليهم نور [٢] » أتى إلينا ، لكى يعود بنا نحن أتباعه إلى الحضرة الإلهية المجدة . . . فهل نتبعهُ ؟

✞ كل إنسان من الجنس البشرى يسمع فى أعماقه بصورة أو بأخرى ، وعلى درجات متفاوتة من الوضوح ، نفس السؤال القديم: آدم . . . أين أنت؟ هذا ما عبر عنه سفر الجامعة بقوله : « وجعل الأبدية فى قلوبهم[٣] » ، فنجد هذا النداء الداخلى الغامض هو الذى دفع هابيل أن يقدم ذبيحة إسترضاءً لله الذى يدعوه . . . وأنوش يدعو وينادى بإسم الرب الذى لا يراه [٤] . وبعده كل الآباء البطاركة نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب ، وصموئيل الذى رد على نداء الله قائلاً : هائنذا لأنك دعوتنى . . . تكلم يارب فإن عبدك سامع [٥] . وهكذا أصبحت القاعدة الروحية : « أن كل من يدعو بإسم الرب يخلص [٦] » ، فهل سمعت نداء أعماقك المشتاقة إلى الله . . .

✞ لا شك إن أقوى رد فعل على سؤال الله ، أتى من المسيح له المجد .

---

(١) يو ١٤ : ٦ (٢) لو ١ : ٧٩ (٣) جا ٣ : ١ (٤) تك ٤ : ٢٦
(٥) ١ صم ٣ : ١٠ (٦) رو ١٠ : ١٣

حينما تجسد وصار « آدم الثانى [١] ». وحمل خطايا العالم كله [٢]. فقد نادى على الصليب رداً على السؤال الذى وجهه هو قديماً إلى آدم : آدم أين أنت ؟ حيث رد كنائب عن الجنس البشرى كله : إلهى إلهى لماذا تركتنى [٣] ؟ خطايا العالم كله لم تعد حاجزاً بينك أيها الآب وبين الجنس البشرى ، لأننى قد أتممت الكفارة والفداء ، فهاأنا وكل أولادك ، نطلبك من كل قلوبنا ، كما طلبتنا فى القديم وفتشت عنا !!!

✝ وبعد أن تبرر الإنسان من خطاياه بدم المسيح [٤] ، صار له جراءة وقدوماً إلى الحضرة الإلهية [٥] ، ولم يعد يميل إلى الإنزواء في الظلمة خوفاً وخشية . . .

هذا مالخصه كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى الآية الرائعة : « ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به (أى بيسوع المسيح) نقترب إلى الله . من أجل إنه يبقى إلى الأبد . . . فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله . إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم [٦]».



(١) ١كو ١٥ : ٢٢ (٢) يو ١ : ٢٩ (٣) متى ٢٧ : ٤٥ ، ٤٦
(٤) رو ٦ : ١ (٥) اف ٣ : ١٢ (٦) عب ٧ : ١٩ ، ٢٥

٣ - فعـــــــروه

من أعلمك أنك عريان؟ (تك ٣ : ١١)

عندما تقطع الشياطين الطريق على إنسان وهو سائر في الطريق نحو الله ، فإنها تهاجمه في شراسة وقسوة ، وأول شيء تعمله ، هو أن تعريه . « فوقع بين لصوص فعروه [١] » . كانت حواء في حالة غيبوبة حين كلمتها الحية بمعسول الكلام المُسكر ، وكان آدم كذلك في حالة من اللاوعي حين أعطته حواء ليأكل من الثمرة المحرمة . . . وبعد ذلك إستفاقا « فأنفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان [٢] » .

ترى ما هي الثياب التي فقداها وإنتزعها عنهما الشيطان ؟

١ - **أسلحة النور** : تلك التي ذكرها معلمنا بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية « قد تناهى الليل (ليل العصيان على الله) ، وتقارب النهار (حيث صوت الله عند هبوب ريح النهار) فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور[٣] » . فمن المعروف أن كل مسافر في الطرق الخطرة ، لابد له أن يكون متسلحاً . . . وعندما تداهمه اللصوص ، فأول شيء هو أن ينزعوا عنه سلاحه ، فلا يستطيع المقاومة . إن الشيطان يبدأ في إنتزاع منطقة الحق من على حقويه ، ويجرده من درع البر ، ويأخذ منه إستعداد إنجيل السلام ، ويستولى الشيطان على ترس الإيمان ، وخوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله [٤] . وعندما ينجح الشيطان في تعرية الإنسان من سلاح الله الكامل ، يصير غير قادر على المقاومة ، فيستسلم للشيطان .

٢ - **الحلة الأولى** : وهى التي أخبرنا عنها ربنا يسوع المسيح في مثل

---

(١) لو ١٠ : ٣٠ (٢) تك ٣ : ٧ (٣) رو ١٣ : ١٢ (٤) أف ٦ : ١٣ - ١٧

الإبن الضال ، فحينما عاد الإبن إلى بيت أبيه ، أمر الأب على الفور « إخرجوا الحُلة الأولى وألبسوه (علامة إستعادته لدالة البنوية) وإجعلوا خاتماً فى يده (علامة إستعادة السلطان فى بيت أبيه) وحذاء فى رجليه (إسترجاع إنجيل السلام مع الله وكل مايبشر به من بشائر مفرحة [1]) » . لقد إنتزع الشيطان الحُلة الأولى هذه عن آدم وحواء حين خدعهما ، فقد فقدا الدالة والسلطان ولم يعودا يسمعا أى بشارة مفرحة من الله !

٣ - **تبررات القديسين** : لقد عرى الشيطان آدم وحواء من ثوب البراءة والنقاء . . . ذلك الثوب الذى ستعود الكنيسة وتتسربل به كعروس مزينة لعريسها الحمل . هذا مارآه القديس يوحنا فى سفر الرؤيا : « وأعطيت (عروس الخروف) أن تلبس بزاً نقياً بهياً ، لأن البز هو تبررات القديسين [2] » . « من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاء [3] » . « أشير عليك أن تشترى منى . . . ثياباً بيضاء لكى تلبس ، فلا يظهر خزى عورتك [4] » . « ورأيت أربعة وعشرين شيخاً جالسين متسربلين بثياب بيض [5] » . « فأعطوا كل واحد ثياباً بيضا [6] » . « متسربلين بثياب بيض وفى أيديهم سعف النخل[7] » . « هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض [8] » .

✞ لم يكن ممكنا للإنسان الذى تسلل إلى العرس ولم يكن لابساً ثياب العرس أن يبقى هناك [9] ، لأنه لا يمكث فى الأفراح الأبدية فى السماء إلا من إستعاد ثوبه المقدس النقى ، لابد لهذا الجسد الأرضى الذى نحن لابسوه الآن أن ينتقى بدم الحمل .

---

(١) لو ١٥ : ٢٢ (٢) رؤ ١٩ : ٨ (٣) رؤ ٣ : ٥ (٤) رؤ ٣ : ١٨ (٥) رؤ ٤ : ٤
(٦) رؤ ٦ : ١١ (٧) رؤ ٧ : ٩ (٨) رؤ ٧ : ١٣ (٩) متى ٢٢ : ١٢

✞ الجسد الذى لنا على الأرض الآن ، هو مسكن مؤقت ، ونحن متغربون فيه عن الرب : « إننا ونحن مستوطنون فى الجسد فنحن متغربون عن الرب [1] » . إنه مائت لأنه يحمل معه وفيه حكم الموت ، مهما كان ، وأينما كان : « فإننا نحن الذين فى الخيمة (أى فى الجسد) نئن مثقلين ، إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها ، لكى يبتلع المائت من الحياة [2] » .

فماذا سنلبس إذن لنعود إلى نقاوتنا الأولى؟

نعود ونلبس ثيابنا القديمة التى عرانا منها الشيطان بشرط أن تُغسل وتتطهر وهذا مايفعله يسوع المسيح : « الذى أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه [3] » .

« هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة ، وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم فى دم الخروف [4] » .

✞ الأخ والأخت العريانان اللذان ذكرهما يعقوب الرسول فى رسالته [5] ، هما آدم وحواء . . . لم يكتفِ الله بأن قال لهما إذهبا وإكتسيا وأستدفئا . . . ولكنه إهتم بذاته أن يوفر لهما الكساء اللائق بالملكوت الأبدى . . . فلقد أتى المسيح له المجد كى يعيد لهما كل الثياب التى عراهم الشيطان منها وسلبها . . . وهذا ماتشير به آيات كثيرة فى الكتاب المقدس . . . ترى ماهى الثياب التى سترنا بها المسيح ؟

١ – **ثوب الخلاص** : قد ألبسنى ثياب الخلاص كسانى رداء البر [6] .

٢ – **الإنسان الجديد** : خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد

(١) ٢كو ٥ : ٦ (٢) ٢كو ٥ : ٤ (٣) رؤ ١ : ٥ (٤) رؤ ٧ : ١٤
(٥) يع ٢ : ١٥ (٦) اش ٦١ : ١٠

الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه [1] . « وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق [2] » .

٣ - **ثياب مطرزة للعز والبهاء :** « العز والبهاء لباسها [3] » « والبستك مطرزة . . . وكسوتك بزا ، وحليتك بحلى . . . وتاج جمال على رأسك . . . وجملت جداً جداً فصلحت لملكة[4] » .

٤ - **أحشاء رأفة ومحبة :** « فألبسوا كمختارى الله . . . أحشاء رأفات . . . وعلى جميع هذه ألبسوا المحبة التى هى رباط الكمال[5] » .

٥ - **ثوب سماوى عديم الموت والفساد :** « سنلبس أيضاً صورة السماوى[6] ، ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ، وهذا المائت عدم موت ، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة : أبتلع الموت إلى غلبة - أين شوكتك ياموت ، أين غلبتك ياهاوية[7] » .

« سيغير شكل جسد تواضعنا ، ليكون على صورة جسد مجده ، بحسب عمل إستطاعته أن يخضع لنفسه كل شىء[8] » .

٦ - **التسربل بالمسيح نفسه :** « بل ألبسوا الرب يسوع المسيح[9] » .

« لأن كلكم الذين إعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح[10] » .

المجد كل المجد لك ياربنا . .

يامن سترت عرينا !!!

✞ جسدنا الأرضى يشبهه معلمنا بطرس بالعشب : « لأن كل جسد كعشب وكل مجد إنسان كزهر عشب . العشب يبس وزهره سقط وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد[11] » ويمكننا هنا أن نفهم قول الرب يسوع :

---

(١) كو ٣:١٠ (٢) أف ٤:٢٣ (٣) أم ٣١:٢٥ (٤) حز ١٦:١٠ (٥) كو ٣:١٢
(٦) ١كو ١٥:٤١ (٧) ١كو ١٥:٥٤ (٨) فى ٣:٢١ (٩) رو ١٣:١٤ (١٠) غل ٣:٢٧
(١١) ١بط ١:٢٤

« فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غداً فى التنور يلبسه الله هكذا ، أفليس بالحرى يلبسكم أنتم ياقليلى الإيمان[1] » أى إن كان الله قد أبدع فى تكوين جسدنا الأرضى الذى يُشبه بالعشب الزائل ، فكم بالحرى أجسامنا السماوية التى سنعيش بها معه إلى الأبد !!.

٣ - ماذا تريد أن تعرف ؟

هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها ؟

(تك ٣ : ١١)

يهمنا أ ن نفكر فيما هى شجرة الحياة ، وما هى شجرة معرفة الخير والشر كما يذكرهما الكتاب المقدس ، لعلنا ندرك الخطيئة الأصلية التى لاحقتنا ، ونفهم تدابير الله للتخلص منها ، كما ندرك أيضاً شجرة الحياة بكل مفاعيلها المحيية . .

إن شجرة العصيان والموت التى قال الرب لآدم أنك يوم تأكل منها موتاً تموت[2] ، هى بحسب إسمها شجرة معرفة ، معرفة الخير ومعرفة الشر ، أى أن الوجود ينقسم فى ذهن الإنسان إلى أمور خير مفيدة وأمور شر مؤذية ، ويغرق الإنسان بذهنه فى كشف جوانب الخير وجوانب الشر فى كل شئ ، وهذا فوق طاقة وإمكانيات الإنسان لأن الخير والشر يمتزجان فى كل أمور الإنسان إمتزاجاً يصعب فصله فمعرفة الخير والشر فى كل شئ هو تعب وغم[3] ، ويضيع الإنسان حياته فيما لاطائل ورائه ، ولهذا فهو بمعرفة الخير والشر موتاً يموت . . . ولقد قيل عن المعرفة أنها شجرة لأنها تعمل ثمرا بذره فيه كجنسه[4] . فالأفكار والمعرفة تنتقل من عقل إلى عقل كإنتشار البذار . . . وجيلاً وراء جيل . . .

---

(١) متى ٧ : ٣٠ (٢) تك ٢ : ١٧ (٣) جا ١ : ١٨ ، ١٢ : ١٢ (٤) تك ١ : ١٢

✟ شجرة الحياة من جهة أخرى هى نوع آخر من المعرفة ، كما هو واضح من صلاة ربنا يسوع الوداعية : « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته [١] » .

إذن فهما ليستا شجرتان لهما جذر وساق وأغصان وأوراق وثمار بالمعنى المادى ، ولكنهما نوع من المعرفة متجذرة فى أعماق الإنسان وتتشكل بها كل حياته .

إما معرفة الخير والشر ، التى تؤدى به إلى الموت .

وإما معرفة الإله الحقيقى ، التى تؤدى به إلى الحياة الأبدية ترى ما هى المعرفة التى تريد أن تتقبلها فى أعماقك ؟؟؟ .

✟ التضليل الشيطانى جعل حواء ترى شجرة معرفة الخير والشر فى وسط الجنة [أى فى مركز سعادة الإنسان] مع كونها لم تكن هناك ، لأن نص الإنجيل يقول أن شجرة الحياة هى التى فى وسط الجنة .

« فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل ، وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لاتأكلا منه [٢] . . . »

ولم يكن فى وسط الجنة سوى شجرة الحياة بحسب الآية : « وشجرة الحياة فى وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير والشر [٣] »

وهكذا مجرد التفاوض مع الشيطان ، جعل فكر حواء وفكر الشيطان على موجة واحدة ، فرأت الموت فى الحياة .

✟ وليس هذا فقط ، بل المفاوضة مع الشيطان جعلها ترى الحياة فى الموت : « فرأت المرأة أن الشجرة (معرفة الخير والشر) جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر [٤] »

---

(١) يو ١٧ : ٣ (٢) تك ٣ : ٣ (٣) تك ٢ : ٩ (٤) تك ٣ : ٦

ونلاحظ أن كل أشجار الله ، قد أنبتها الرب « شهية للنظر ، وجيدة للأكل[1] » . . أى أن حواء رأت فى شجرة معرفة الخير والشر صفة ثالثة زيادة على الصفتين الشائعتين فى كل الأشجار وهى أنها « بهجة للعيون » !

وهكذا كل فكر شهوانى يبهج العين ، يؤدى إلى الموت !

ولكن كيف يكون هذا ؟

✝ إن تأثر الإنسان بثمرة شجرة معرفة الخير والشر معناه ،أن يتبنى الإنسان فى سلوكه وتدابيره وقيمه وأخلاقه وحتى فى ممارساته الدينية ، مايعطيه صورة مبهجة في عيون الناس . . . يريد أن يكون له الصورة المبهرة الأخاذة فى نظر أكبر عدد ممكن من الناس ، يريد أن يكون معبود الجماهير ومبهر الشعوب ، إنه يريد أن يكون هو الإله لهؤلاء البشر « تصيران مثل الله عارفين الخير والشر[2] » . هذا يؤدى به إلى الموت .

✝ الله الذى يريد لنا كل فلاح قال : « هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد[3] » . وما معنى هذا ؟ معناه أن يعود الإنسان إلى معرفة الإله الحقيقى . ولكن كيف له هذا ؟

نعود إلي الآية التى جعل فيها المسيح له المجد الحياة الأبدية ، بأنها معرفة الإله الحقيقى « وهذه هى الحياة الأبدية ، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته[4] » . لأن المسيح هو الطريق الأكيد والوحيد ، الذى يجعل الإنسان يعرف إلهه الحقيقى . . . إنه هو شجرة الحياة العتيدة . . .

---

(١) تك ٢ : ٩ (٢) تك ٣ : ٥ (٣) تك ٣ : ٢٢ (٤) يو ١٧ : ٣

« الله لم يره أحد قط . الإبن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر[1] » . لأنه « لا أحد يعرف الآب إلا الإبن ، ومن أراد الإبن أن يعلن له[2] » . و « أنا أعرفه لأنى منه وهو أرسلنى[3] » . لذلك أكمل صلاته الوداعية بالقول الخالد : « أيها الآب البار أن العالم لم يعرفك ، أما أنا فعرفتك ، وهؤلاء عرفوا إنك أرسلتنى وعرفتهم إسمك وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم[4] » .

قال يسوع وهو فى السماء ، لملاك كنيسة أفسس : « من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله[5] » . والمسيح لايطعمنا من شجرة الحياة فقط بل ويكون لنا سلطاناً [وهو السلطان الكهنوتى فى العهد الجديد] عليها ! « طوبى للذين يصنعون وصاياه لكى يكون سلطانهم على شجرة الحياة[6] » . « لأن الله الذى قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح[7] » . فهل نتبع المسيح لنتخلص من الشر ونحيا إلي الأبد ؟

٤ - مسئولية المرأة :

ماهذا الذى فعلت ؟ (تك ٣ : ١٣)

بعد الأكل من ثمرة العصيان ، نلاحظ أن الله عاتب آدم : من أعلمك؟ . . هل أكلت[8] ؟ . وعاتب أيضاً حواء : ماهذا الذى فعلت[9] ؟ ولكن الله لم يعاتب الحية التى هى الشيطان ، بل صب عليها لعنته مباشرة . لأن شر العصيان كان نابعاً من الحية عن قصد وتعمد ، أما بالنسبة لآدم وحواء ، فكان العصيان عن غواية - « حواء أغويت

---

(١) يو ١ : ١٨ (٢) متى ١١ : ٢٧ (٣) يو ٧ : ٣٣ (٤) يو ١٧ : ٢٥
(٥) رؤ ٢ : ٧ (٦) رؤ ٢٢ : ١٤ (٧) ٢كو ٤ : ٦ (٨) تك ٣ : ١١ (٩) تك ٣ : ١٣

فحصلت في التعدى[١] » وأيضاً « كما خدعت الحية حواء بمكرها[٢] » .
فلقد كانت حواء ضحية المكر والخداع والغواية من الحية ، ومسئوليتها أنها لم تنتبه للمكر ولم تكن فى حالة يقظة ضد الخداع وأيضاً لم تكن فى حالة صحو وتبصر أمام الغواية والكذب . كانت في حديثها مع الحية كمن هى فى حالة اللاوعى ، لذلك لم تستطع إدراك الأمور على حقيقتها . . . لقد أخفت الحية سمها الزعاف تحت معسول الكلام وخدر الإغراء .

لا تظن أن الله سيعاتبك ويلتمس لك عذراً إن كنت تخطىء بيد شديدة وذراع ممدودة عن قصد وتعمد بل توقع « قبول نار عتيدة[٣] » . . . وقيل أيضاً « فهى مرفوضة وقريبة من اللعنة التى نهايتها للحريق[٤] » .

✞ رأينا فى التساؤل السابق كيف أن حواء تخيلت أن شجرة معرفة الخير والشر فى وسط الفردوس أى فى موضع شجرة الحياة ، وبالتالى عليها لو أرادت تنفيذ الوصية الإلهية أن تبتعد عن شجرة الحياة ! . . . آه كم من النفوس أقنعها الشيطان أنها ستكون أكثر سعادة حين تبتعد عن معرفة الله ! « لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم[٥] » . .
ورأينا أن حواء رأت الشجرة دوناً عن كل باقى الأشجار بهجة للعيون ، أى ملفتة للنظر ، وتميل أن تطيل النظر إليها . . . هكذا أيضاً كل خطيئة ، تبدأ بشهوة العيون[٦] .
والأدهى من هذا وذاك ، أن حواء زادت وغالت في الوصية الإلهية كى تبدو ثقيلة ومنفرة مع أن الله قد أوصي فى الشريعة « لا تزيدوا على الكلام الذى أنا أوصيكم به ولاتنتقصوا منه ، لكى تحفظوا وصايا الرب إلهكم التى أنا أوصيكم بها[٧] » وأيضاً « كل الكلام الذى أوصيكم به

(١) ١تى ٢ : ١٤ (٢) ٢كو ١١ : ٣ (٣) عب ١٠ : ٢٧ (٤) عب ٦ : ٨
(٥) رو ١ : ٢٨ (٦) ١يو ٢ : ١٦ (٧) تث ٤ : ٢

إحرصوا لتعملوه . لا تزد عليه ولا تنقص منه[1] » كثيرون وكثيرون جداً ، طرحوا عنهم الوصية الإلهية ، لأنهم غالوا فيها وأثقلها عليهم الشيطان مع أن « وصاياه ليست ثقيلة[2] » وصية الله بالنسبة لشجرة معرفة الخير والشر : «لاتأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت[3]» ولكن حواء وهى تحت تأثير غواية الحية تخيلت أن الوصية هى بعدم الأكل وعدم المس : « لاتأكلا منه ولا تمساه[4] » وهكذا بدت الوصية ثقيلة وغير معقولة وغير عملية فى التطبيق .

لقد تجاسرت حواء وأكلت ، وجرت إلى آدم وجعلته يأكل هو أيضاً وهكذا تحولت من عاصية مخدوعة ، إلى مشجعة على العصيان ! وهنا يناديها الله : ماذا فعلت ؟ ماذا فعلتِ ياحواء ؟

✝ مبارك هو الرب الذى جعل فى مقابل كل عوامل السقوط ، عوامل للخلاص تناظرها تماماً !!!

فجعل فى مقابل حواء التى أغويت . . . القديسة مريم الممتلئة نعمة أم القدوس . . .

بل وحتى الحية صاحبة مؤامرة السقوط . . . جعل المسيح له المجد نفسه ترياقاً للشفاء من لدغتها إذ قال : « كما رفع موسى الحية فى البرية ، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان (على الصليب) لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية[5] » .

✝ لقد وضعت القديسة مريم فى قلبها أن تتبتل لله ، وماخطبتها ليوسف النجار الشيخ إلا ليكون حارساً وصائناً لهذه المخلوقة السمائية

---

(١) تث ١٢ : ٣٢ (٢) ١يو ٥ : ٣ (٣) تك ٢ : ١٧ (٤) تك ٣ : ٣
(٥) يو ٤ : ١٨

النادرة . لقد كانت (بعكس حواء) حريصة ويقظة فى كل ماتسمعه عن الله من آخرين ، حتى ولو كانوا ملائكة : « فلما رأته إضطربت من كلامه (أى جبرائيل الملاك) وفكرت ماعسى أن تكون هذه التحية[1] » ولما أستفسرت وأقتنعت بعلامة معجزية وهى حبل إليصابات بإبن فى شيخوختها ، علمت أنها رسالة من الله ، وقالت للملاك شعار حياتها ، والمبدأ الذى تعيشه : « هوذا أنا أمة الرب ، ليكن لى كقولك[2] ».

✞ والآن ، كيف ستخلص المرأة ؟ يقول الكتاب المقدس هكذا مباشرة: « ولكنها ستخلص بولادة الأولاد ، إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل[3] ».

لقد أخذت حواء وعداً من الله بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية[4] . . . ولما جاء « ملء الزمان ، أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة ، مولوداً تحت الناموس ، ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى[5] ».

ليس كل ولادة أولاد هو خلاص لحواء ، ولكن حينما تلد حواء أولاداً قادرين على سحق رأس الحية ، حينئذ تخلص هى أيضاً . أما إن ولدت أولاداً ملسوعين فى عقبهم من الحية ، أى ذاهبين وراء غواية الشيطان لعصيان الله ، فإنها لاتنال الخلاص ، بل تكون تحت الدينونة . « الإبن الجاهل حزن أمه[6] » « المطلق إلى هواه يُخجل أمه[6] » . فعلى كل أم أن تربى أولادها وتنشئهم [فهى لها التأثير الأكبر على أبنائها] ليكونوا على صورة المسيح الساحق الوحيد لرأس الحية . الذى قال عنه الرسول بولس : « وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً[7] ».

---

(١) لو ١ : ٢٩ (٢) لو ١ : ٣٨ (٣) ١تى ٢ : ١٥ (٤) تك ٣ : ١٥ (٥) غل ٤ : ٤ ، ٥
(٦) أم ١٠ : ١ (٧) رو ١٦ : ٢٠

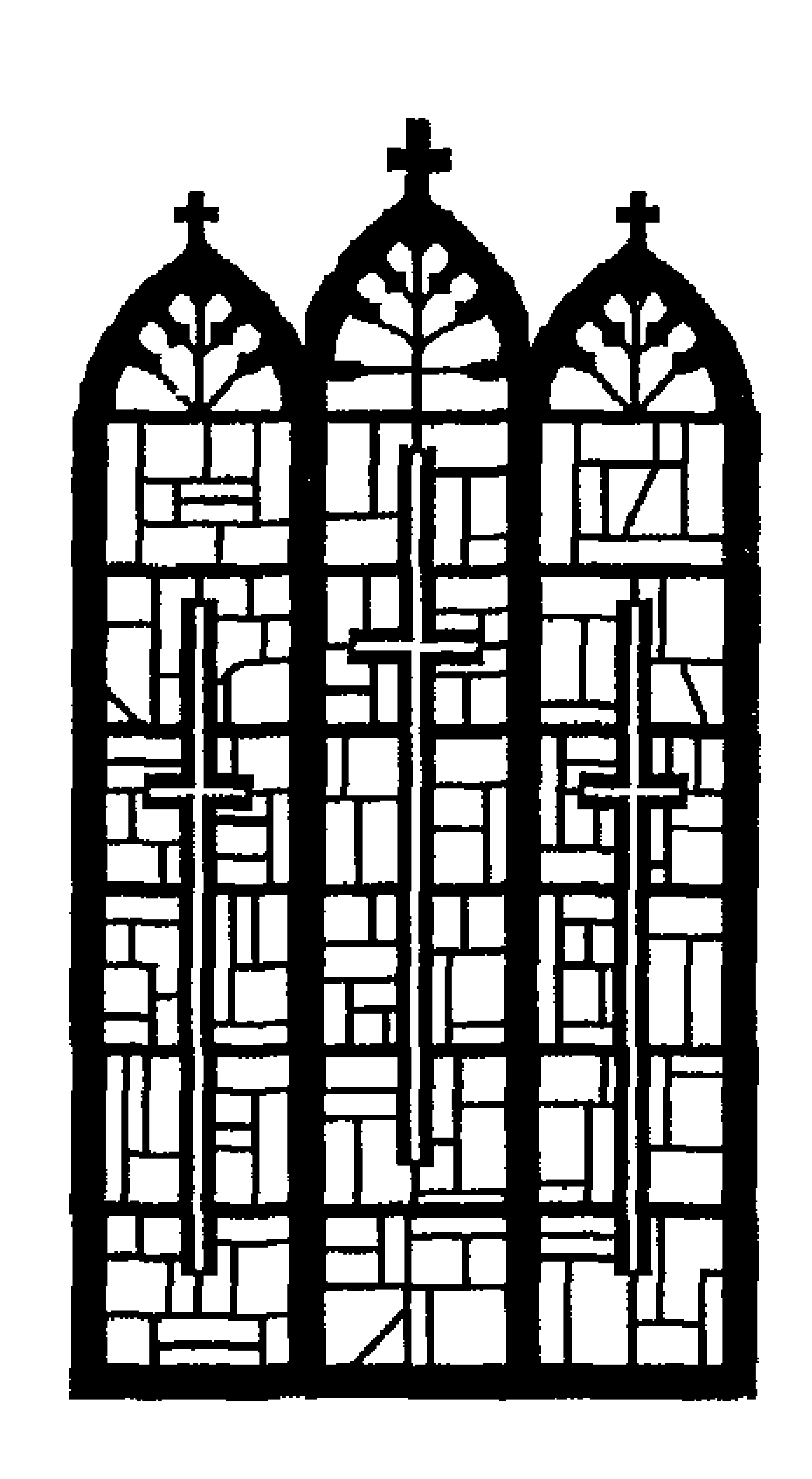
✞ قال يسوع : « أنا الكرمة الحقيقة[1] » .

وقيل عن مريم العذراء : « السلام لمريم الملكة والكرمة[2] » .

وقيل عن الأم ، فى البيت المسيحى إلتقى : « إمرأتك تصير مثل كرمة مخصبة فى جوانب بيتك[3] » .

وهكذا نرى أن المسيح له المجد يجعل نفسه واحداً مع كنيسته فى الأمومة الروحية فكلاهما يشبه بالكرمة التى تُخرج ثمراً للحياة الأبدية .

ويحلو للرسول بولس كخادم فى الكنيسة أن ينسب إلى نفسه هو أيضاً نفس مشاعر الأمومة نحو مخدوميه فقال : « يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم[4] » وقال أيضاً : « بل كنا مترفقين فى وسطكم كما تربى المرضعة أولادها[5] » .



(١) يو ١٧ : ١ (٢) من ألحان القداس (٣) مز ١٢٨ : ٣ (٤) غل ٤ : ١٩

(٥) ١تس ٢ : ٧

أسئلة خمسة لقاتل أخيه

لقد وجه الرب خمسة أسئلة لقايين قاتل أخيه . ثلاثة قبل إرتكابه جريمة القتل ، وإثنان بعد إرتكابه لها .

فى الثلاثة الأولى يحث الله قايين أن يزيل الغل من قلبه نحو أخيه ، ويتراجع عن ماأضمر فى قلبه :

١ - لماذا إغتظت ؟

٢ - لماذا سقط وجهك ؟

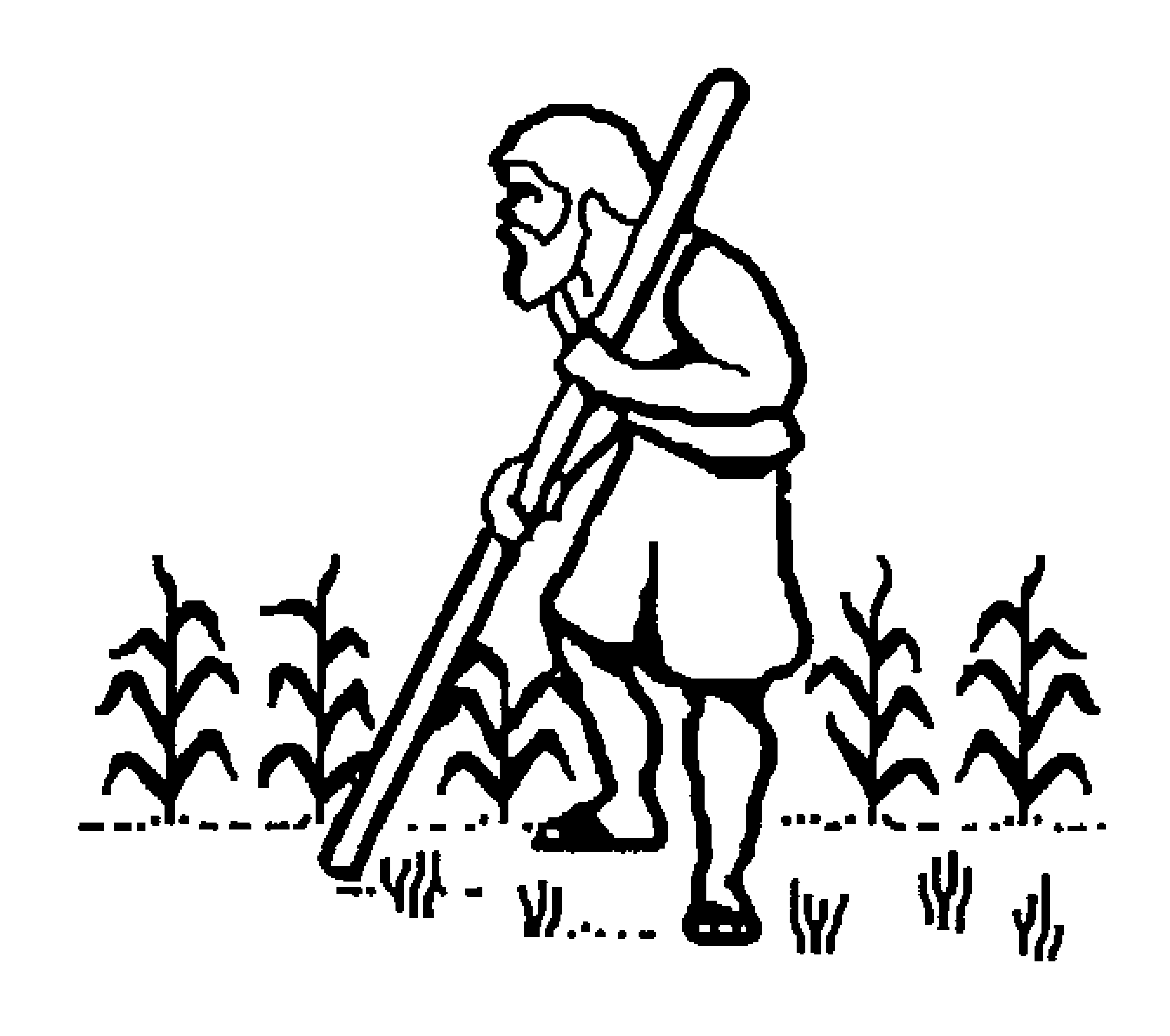
٣ - إن أحسنت أفلا رفع ؟

أما السؤالين الآخرين ، فالله يعاتب ويؤنب ثم يحكم . . .

٤ - أين هابيل أخوك ؟

٥ - ماذا فعلت ؟

ولنتأمل الآن كل سؤال على حدة .



٥ - مشاعر مدمرة :

لماذا إغتظت ؟ (تك ٤ : ٦)

قايين وهابيل ، أول مواليد الأرض ، يقدمان قرابيين لله . . . هنا نتأكد أن الإحساس بوجود الكائن الأعظم ، هو إحساس أصيل وطبيعى . . . والإنسان بالفطرة يحاول أن يتقرب إلى الله وأن يرضيه ، وإن كان لا يراه ، ولم يسمع صوته . لأنه ما الذى دفع قايين وهابيل أن يُقدما قرابين لذلك الإله المجهول بالنسبة لهما ؟ مالم تكن العاطفة الدينية متجذرة فى كيانهما . . .

لم يكن على الكرة الأرضية غيرهما مع آدم وحواء ، وأتصور أنهم كانوا يعيشون الحياة البدائية بكل مخاوفها . . . إنهما يبحثان عن الأمان وعن الحياة الأفضل ، ففكرا على الفور فى إسترضاء الله الخالق كى يحقق لهما هذا . . .

الإنسان الملحد ، الذى يتنكر لوجود الله ، هو إنسان يغالط نفسه وفطرته . . . فالإنسان لا يكف عن القلق والإضطراب الداخلى ، والخوف الهائل الغامض من المستقبل الذى فى أعماقه ، مالم يطمئن إلي رضى الله عليه ، ويحيا فى سلام مع الكائن الأعظم ، الخالق القدير ، والمهيمن على كل شيء .

ياللشيطان الذى ألهى الناس عن فطرتهم ، وأطفأ جذوة التقرب إلى الله عندهم ، بحجة أن هناك أموراً أهم من الله ، على الإنسان أن يركز فيها ! وأحاطهم بوسائل إعلام هادرة لاتهدأ ، تمتص عقولهم ، وعواطفهم ، وكل أحاسيسهم !

كل هذا مع قلق مريع على العيش ، والمستقبل ، وتعظم المعيشة حتى

لم يبق أمام الإنسان الآن إلا شكليات عبادة وتدين سريع خاطف ، لا يروى النفس الظمأى إلى الله .

✞ حواء هى التى أطلقت أسم قايين على إبنها الأول ، قائلة : أقتنيتُ رجلاً من عند الرب[1] . ثم عادت فولدت أخاه هابيل [أى بطل] متوسمة البطولة فى إبنها الثانى ، بأنه هو الذى سيسحق رأس الحية بحسب وعد الله لها[2] .

ولما قدما قرباناً ، كلُ بحسب ماأرتأى من أفكاره . . . نظر الله إلي قرابين هابيل وقبلها ، وأحس هابيل برضى الله عليه وأنه أصبح مقرباً عند الله . . . ولم ينظر الرب إلى قرابيين قايين . هنا ، حنق قايين على أخيه جداً لدرجة أنه أضحى لا يطيق النظر إليه ! وشحنه الشيطان بمشاعر البغضة المهلكة ، وأدخل فى أحاسيسه شعوراً ثابتاً ومستمراً من الغيظ المدمر . . . وعندما يستقر الغيظ فى داخل الإنسان لفترات طويلة ، يرسل عقل الإنسان إشارات إلى كل المراكز الحيوية في الإنسان ، بأن تتوقف وتموت . كما جاء فى الكتاب المقدس : « لأن الغيظ يقتل الغبى[3] » و « أيها المفترس نفسه فى غيظه[4] » لذلك يوصينا الله أن لا نبيت وفى قلبنا أى مشاعر غيظ : « لا تغرب الشمس على غيظكم[5] » .

مسكين قايين ، لقد كان أول إنسان على الأرض يختبر مشاعر الإحباط ، وخيبة الأمل ، والغيظ . . . وظلت هذه المشاعر تعمل فيه ، بل وحتى فى نسله أيضاً إلى أن جاء الطوفان أيام نوح وأهلك قايين وكل نسله .

---

(١) تك ٤ : ١ (٢) تك ٣ : ١٥ (٣) أى ٥ : ٢ (٤) أى ١٨ : ٤
(٥) أف ٤ : ٢٦

مشاعر الغيظ بكل عقدها النفسية دفعت قايين أن يقوم على أخيه فعلاً ويقتله ، كما ظلت هذه المشاعر الشرسة تعمل فى نسله . فقد روى الكتاب المقدس عن لامك [وهو الحفيد السابع لقايين] بأن مشاعر حب الإنتقام قد سيطرت عليه تماماً فقال لإمرأتيه : « إنى قتلت رجلاً لجرحى ، وفتى لشدخى ، إنه يُنتقم لقايين سبعة أضعاف وأما للامك فسبعة وسبعين [١] » ومعنى قوله هذا أنه قد قام بقتل رجل أحدث له مجرد جرح ، كما قتل فتى أحدث له أكثر من جرح وهو ما أطلق عليه شدخ (ربما كسر فى عظامه) وأضحى يفتخر بالإنتقام سبعة فى سبعين بعكس وصية المسيح الذى أوصى بالغفران سبعة فى سبعين [٢] .

✞ ومن الجانب الآخر ، أعطى الرب آدم وحواء إبناً ثالثاً عوضاً عن هابيل المقتول أسمياه « شيث » كان هو ونسله مقبولاً لدى الله ، والغريب أن حفيده السابع أيضاً إسمه « لامك [٣] » وهو والد نوح الذى أنقذه الله مع أفراد أسرته فى الفلك من الطوفان[٤] . . .

فالخلاص لا يكون إلا للذين قد تطهرت قلوبهم بالنعمة الإلهية من كل مشاعر الغيظ ، وحب الإنتقام ، والحنق ، والضغائن والأحقاد . . . لأن كل هذه المشاعر المسممة ، لا وجود لها فى ملكوت الله . « لأن خارجاً ، الكلاب [أى الذين عادوا إلى خطاياهم بعدما تابوا عنها [٥]] والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان ، وكل من يحب ويصنع كذباً [٦] » فحتى الحب الكذوب ، لا وجود له فى السماء ، رغم أن المحبة هى الوصية الأولى والعظمى[٧] ».

---

(١) تك ٤ : ٢٤ (٢) متى ١٨ : ٢٢ (٣) تك ٥ : ٢٨ (٤) تك ٦ : ١٧ ، ١٨
(٥) ٢بط ٢ : ٢٢ (٦) رؤ ٢٢ : ١٥ (٧) متى ٢٢ : ٣٨

✞ الله بتساؤله لقايين : لماذا إغتظت ؟ هو مشفق عليه من تلك المشاعر الهدامة التى إحتضنها فى قلبه . . . وكأنه يقول له : يا قايين إن الغيظ فى قلبك خطيئة رابضة كأنها وحش مفترس ، قد ينهض فى أى وقت ليفترسك . . . تستطيع الآن أن تتغلب عليه وتروض نفسك للتقوى [١] ، أزل من قلبك كراهية أخيك وحب الإنتقام منه ، لاش مشاعر الغيظ المضطرمة فى قلبك وعد إلى صوابك . . . لماذا إغتظت ؟

٦ - أرفع رأسك يا أخى :

لماذا سقط وجهك ؟ (تك ٤ : ٧)

بدأ دود الحسد والبغضة يشغى فى قلب قايين ، ولم يبقى فى فكر قايين إلا موضوع واحد وهو كيف يقضى على أخيه !

أخاه هو المقبول عند الله ، فلابد أن يُفنى أخيه حتى لا يكون أمام الله إلا الرضى عنه هو ! وبدأ التفكير العملى فى جريمة القتل - كيف ؟ وأين ؟ ومتى ؟ يرتكبها . مؤامرات كثيرة طرحها تفكيره الشيطانى عليه ، وتفحص كل مؤامرة جيداً ، وأنتقى مؤامرة بحيث يقتل أخيه دون أن يراه أحد ، ثم يخشى أن يكون هناك ثغرات تكتشف القاتل . . . فيعود ويفكر . . . وهكذا سقط وجهه . لأن إضمار إرتكاب الشر يُحنى الرأس إلى الأرض . « البغضة تهيج خصومات ، ومن يُخفى البغضة فشفتاه كاذبتان [٢] » .

الإنسان المستقيم يمشى مرفوع الرأس ، لأن ليس فى ملامح وجهه أى شر يحاول أن يخفيه . وجهه يلمع بالقداسة والنقاء ، وأقول إن وجهه يضىء من طول الشركة مع الله فى صلوات عميقة ، أما الذى يتآمر على الناس ، فإنه يدارى وجهه عن هؤلاء الناس ، لأن نظراته

---

(١) ١تى ٤ : ٧ (٢) أم ١٠ : ١٢ ، ١٨

زائغة ، وعضلات وجهه بحركاتها العصبية تكشفه ، لذلك فهو يكون بإستمرار ساقط الوجه .

✞ كذلك الذى يخالف وصايا الله ، وقد أزمع التمرد على إلهه ، لايطيق المثول فى حضرة الله والصلاة . . . فمبغضوا الرب يهربون من أمام وجهه . . . وفى اليوم الأخير حين يُجبرون على لقاء الله « يقولون للجبال والصخور أسقطى علينا وإخفينا عن وجه الجالس على العرش . . . ومن يستطيع الوقوف [1] ».

أما الأبرار ، فإنهم يلتمسون وجه الله وهم رافعين الرأس نحوه« إليك رفعتُ عينيَّ يا ساكناً فى السماوات [2] » و « إرفع علينا نور وجهك يارب[3] » و « أضيء بوجهك على عبدك[4] » و « أنر بوجهك علينا فنخلص[5] » .

✞ لقد قارن قايين نفسه بهابيل أخيه ، وقارن بين تقدمته وتقدمة أخيه ، ووصل إلى أنه كان من المفروض على الله أن يقبل تقدمته هو وليس تقدمة هابيل . . .

فأولاَ : قايين هو البكر وهو الأكبر أما هابيل فكان الأصغر .

ثانياً : معنى إسمه ، أقتنيت رجلاً من عند الرب ، أما هابيل فمعنى إسمه بطل . فبوصفه مقتنى من عند الرب ، كان من المفروض أن ينظر الرب لقرابينه .

ثالثاً : كانت تقدمة قايين من ثمار الأرض[6] . أى إنها غير دموية فهو لم يزهق روح أحد الخلائق ، فكان على الله أن يُقدر تلك النقطة ، ويقبل تقدمته كرجل رقيق غير دموى .

---

(١) رؤ ٦ : ١٦ (٢) مز ١٢٣ : ١ (٣) مز ٤ : ٦ (٤) مز ٣١ : ١٦
(٥) مز ٨٠ : ٣ (٦) تك ٤ : ٣

رابعاً : تقدمة قايين كانت نتاج كده وعرقه ، فكان يروى الأشجار وينقل لها المخصبات ، ويحميها من الآفات والحشائش الضارة حتى نضجت . . . فكان على الله أن ينظر إلى كل هذا التعب ويقبل تقدمته .

خامساً : إن منظر الثمار جميل ، وهى بهجة للعيون وشهية للأكل ، على الأقل أجمل من خروف مذبوح ملطخ بالدم .

وربما نسب قايين حماقة لله بعدما راودته مثل هذه الأفكار قائلاً فى نفسه إن قربانه كان الأفضل بكل المقاييس ، ولكن الله لا يُقَدر الأمور تقديراً صحيحاً . . .

لذلك سقط وجهه ، ولم يرفعه إلا توقحاً على الله حين قال :

« أحارس أنا لأخى ؟[1] » .

✞ يريد الله بتوجيه هذا التساؤل لقايين أن يراجع أفكاره التى أدت به إلى سقوط وجهه . . . أفكارك هذه يا قايين جعلت وجهك يسقط ، شاخصاً نحو الأرض غيظاً ، ويأساً ، وتجديفاً . . . إلى أين ستؤدى بك هذه الأفكار السوداوية المريعة ؟! عد ياقايين ، وأطرد عنك هذه الأفكار التى أسقطت وجهك وجعلتك شاخصاً فى الوحل . . . إن لديك القدرة حتى الآن أن تتغلب على خطاياك الرابضة وبذا يرتفع رأسك عالياً .

✞ لم يلتفت قايين إلى تنبيهات الله الواضحة ، وبدلاً من أن يسود على خطاياه، تركها هى تسود عليه ! فى حين أن كثيرين من القديسين إلتجأوا إلى الله ، وإختبروا كيف رفع الرب رأسهم عالياً بعد السقوط . . .

١ - **داود النبى** : الذى خاطب الله قائلاً : « أماأنت يارب فترس لى ، مجدى ورافع رأسى[2] » . وفى مزموره الخالد[3] : قال الرب لربى . . . إختبر كيف جعله الرب يحطم أعداءه الشياطين والخطايا ،

---

(١) تك ٤ : ٩ (٢) مز ٣ : ٣ (٣) مز ١١٠ : ٤ - ٧

وكيف سقاه الله من نهر نعمته ، ووقف عن يمينه فى جهاده الروحى ، لذلك يرفع رأسه . . .

٢ - **العشار** : لقد وقف (فى الهيكل) من بعيد ، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء [أى إنه كان ساقط الوجه] « وقرع على صدره قائلاً اللهم إرحمنى أنا الخاطىء[1] » . فعاد إلى بيته مبرراً ومرفوع الرأس .

٣ - **حنة أم صموئيل** : كانت حزينة الروح ، وفي كرب عظيم « ثم » سكبت نفسها أمام الرب » فإستجاب الرب لمزلتها حتى إنها ترنمت « إرتفع قرنى بالرب[2] . . . »

✞ كن صادقاً مع الرب « فالصديق يزهو كالنخلة وكأرز لبنان يعلو[3] » . أكثر من التناول من سر الأفخارستيا ، جسد المسيح ودمه تحت أعراض الخبز والخمر ، فيكتسى وجهك نوراً سمائياً : « لإخراج خبز من الأرض وخمر تفرح قلب الإنسان لإلماع وجهه[4] » .

٧ - القربان المقبول عند الله :

إن أحسنت أفلا رفع ؟ (تك ٤ : ٧)

كان من الممكن أن لا يُذكر قايين ، سئ الحظ ، فى الكتاب المقدس على الإطلاق ، لا سيما أن نسله قد أُبيد ، بعد الجيل الثامن ، فى طوفان نوح . ولكن قصد روح الله القدوس أن يذكر تفاصيل عنه وعن نسله فى الكتاب المقدس ليكون عظة وعبرة أمام أولاد الله . . . فلا يسلكون

---

(١) لو ١٨ : ١٣ (٢) ١صم ١ : ١٥ ، ١٦ ، ٢ : ١ (٣) مز ٩٢ : ١٢
(٤) مز ١٠٤ : ١٥

فى طريق قايين[1] . المرفوض عند الله . لأن « الصديق . . . يغسل خطواته بدم الشرير[2] » .

ترى ما هو طريق قايين المرفوض عند الله ؟ إن أم الرذائل عند قايين هى **إرتباطه الشديد بالأرض** وليس بالسماء وهذا واضح من الآيات :

* وكان قايين عاملاً فى **الأرض**[3] .
* قايين قدم من ثمار **الأرض** قربانا لله [4] .
* **الأرض** هى التى فتحت فاها لتقبل دم هابيل القتيل[5] .

✝ وحاول الله بمعاقبة قايين أن يعالج فيه هذا بأن يريه شقاوته على الأرض . . فقال له :

* ملعون أنت من **الأرض**[6] .
* متى عملت **الأرض** لا تعود تعطيك قوتها[7] .
* تائها وهاربا تكون فى **الأرض**[8] .

ولكن قايين لم يستجب للعلاج الإلهى ، فإحتج على الله وبقى مرتبطاً بالأرض :

* قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض[9] .
* وكان يبنى مدينة ، فدعا أسم المدينة كإسم إبنه حنوك[10] .
* ومن نسله يوبال « الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار[11] » وتوبال « الضارب على كل آله من نحاس وحديد[12] » وهذا يدل على أنه رسخ نفسه وبنيه فى المعيشه على الأرض ، مستمتعين بأمان كاذب ومسرات زائلة . . .

إرتباط قايين الشديد بالأرض ، وعدم إهتمامة بالتفكر فيما يرضى الله ، هو الذى جعل الله لايستحسن قربانه . وكأن الله بقوله

---

(١) يه ١١ (٢) مز ٥٨ : ١٠ (٣) تك ٤ : ٢ (٤) تك ٤ : ٣ (٥) تك ٤ : ١١
(٦) تك ٤ : ١١ (٧) تك ٤ : ١٢ (٨) تك ٤ : ١٢ (٩) تك ٤ : ١٤ (١٠) تك ٤ : ١٧
(١١) تك ٤ : ٢١ (١٢) تك ٤ : ٢٢

لقايين : أن أحسنت أفلا رفع ؟ . . أى تفكر ياقايين فيما هو مقبول ومستحسن لدىّ . . . تفكر فى الإيمان الذى كان عند أخيك وقدم ذبيحة أخرى على منواله ، وأنا سأتقبلها . . .

يالطول أناتك يا إلهنا !!!

✞ تذكر الرسالة إلى العبرانيين سر أفضلية ذبيحة هابيل إذ تقول :

« بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين[١] » . لقد آمن هابيل بكلام أبيه آدم وأمه حواء بأن الجنة والحياة فى رضى الله أفضل بكثير من الحياة على الأرض ، رغم أنه لم يرى جنة ولم يكن قد تعامل مع الله بعد . كما آمن بحنان الله على أبويه رغم معصيتهما حين « صنع الرب الإله لآدم وحواء أقمصة من جلد وألبسهما[٢] » فالجلود لابد وأن تُسلخ من حيوانات مذبوحة .

لذلك التصق هابيل بالأغنام « وكان هابيل راعياً للغنم[٣] » رغم أن جميع الأجيال من آدم وحتى نوح كانوا لايأكلون اللحم بل نباتيين ! وكأن هابيل إختار أن يلتصق بما يُذكره بإستمرار بحنان الله على أبويه ، ثم جعل تقدمته لله من خيار غنمه ومن سُمانها ، كى يُذكر الله بحنانه ومراحمه على جنس البشر . . وهكذا إيمان هابيل بما سمع عن الله ، جعل تقدمته مفضلة وأكثر قبولاً .

قايين سمع أيضاً عن حنان الله وعن الجنة ولكن لم يؤمن بكل هذا ، كان مؤمناً بالأرض ، ومعتقداً فى إنتاج يديه ، وليس عنده تفكير إلا بما يوحى به إليه المنطق السليم ، والقدرة على التمييز بين الخير والشر . . ولا يدرى أن كل هذا ، من مفاعيل شجرة الموت المبغوضة عند الله . . لأن « كل طرق الإنسان مستقيمة فى عينيه ، والرب وازن القلوب[٤] » « وتوكل على الرب بكل قلبك ، وعلى فهمك لا تعتمد[٥] » .

---

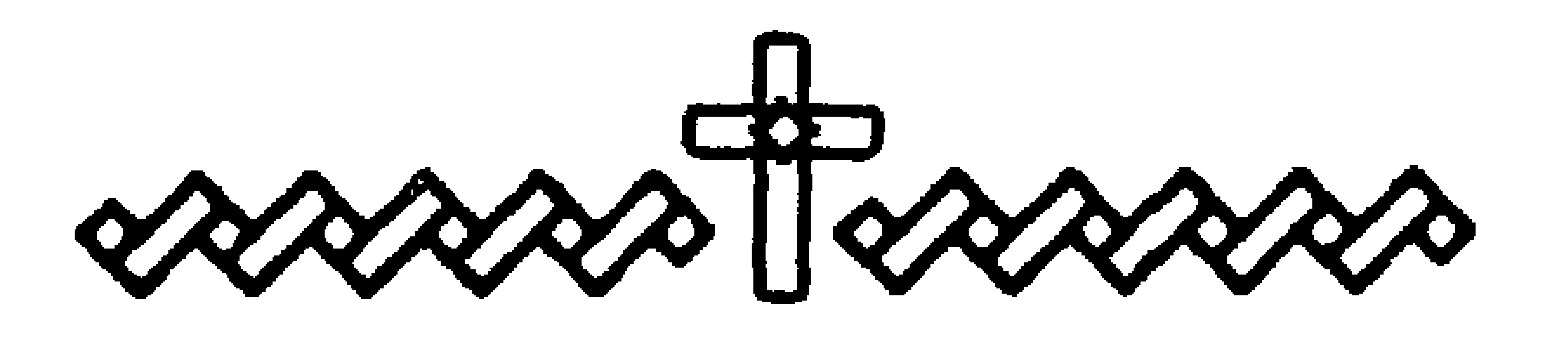
(١) عب ١١ : ٤ (٢) تك ٣ : ٢١ (٣) تك ٤ : ٢ (٤) أم ٢١ : ٢ (٥) أم ٣:٥

✝ لقد فهم هابيل أنه بدون سفك دم لاتحصل مغفرة[١] . وامن . . فهل نؤمن نحن الآن فى « حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم كله[٢] » ؟ أعنى « وسيط العهد الجديد يسوع ، وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل[٣]» ؟ هل نؤمن ونتيقن تماماً إننا أفتدينا ، لا باشياء تفنى . . . بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح[٤] » ؟ أم مازلنا نحاول أن نتقرب إلى الله بطرقنا الخاصة ومناهجنا البشرية ، بعيدا عن إبن الله الحبيب الذى به يُسر[٥] .

والخلاصة : لو حاول إنسان أن يتقرب إلى الله بطريقة قايين[٦] فقربانه مرفوض والله لا ينظر إليه .

أما الإقتراب إلى الله ، لابد وأن يكون عن الطريق الدى وضعه الله ، طريق المسيح « وليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس أسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص[٧] » لقد أرسل الله « فتاه يسوع ، أرسله يباركك برد كل واحد منكم عن شروره[٨] » .

« فالله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا ، متغاضياً عن أزمنة الجهل ، لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل ، برجل قد عينه مقدماً للجميع إيماناً (يسوع المسيح) إذ أقامه من الأموات[٩] » .



(١) عب ٩ : ٢٢ (٢) يو ١ : ٢٩ (٣) عب ١٢ : ٢٤ (٤) ابط ١ : ١٩
(٥) متى ٣ : ١٧ : ١٧ ، ١٧ : ٥ (٦) يه ١١ (٧) اع ٤ : ١٢ (٨) اع ٣ : ٢٦ (٩) اع ١٧ : ٣١

٨-مسئولية من .. ؟

فقال الرب لقايين : أين هابيل أخوك (تك ٤ : ٩)

يظن الكثيرون ، كما ظن قايين نفسه ، أن الله بهذا التساؤل يؤكد مسئولية الأخ حراسة أخيه ، ويتخذون من هذا منطلقاً لفرض وصاية دينية على إخوتهم ، ومايتبع هذا من الحد من حرية إخوتهم حتى فى علاقاتهم مع الله !

وواضح أن الله لم يقصد هذا إطلاقاً . فلقد قتل قايين أخاه هابيل ، وشربت الأرض الدم ، ووارى هو الجثمان تراب الأرض ، وظن قايين أن الأمر قد إنتهى عند هذا الحد ، ولا يوجد من سيكتشف جريمته . . فأتى تساؤل الله له للتحقيق وللتأنيب وإظهار الحقائق التى حاول إخفائها بالكذب على الله . . . فأين المسئولية هنا !؟

✞ لقد كان المطلوب من قايين ، لا أن يحرس أخاه ، بل أن لا يقتله . . . هكذا المطلوب من كل مسيحى غيور ، لا أن يفرض وصاية على أخيه ، بل أن لا يقتل أخاه بغضاً ونفوراً ، وسلوكيات معثرة معه . . . « كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس[١] » . . . التبشير ، والخدمة ، والكهنوت ، والرعاية فى الكنيسة ، ليست تسيداً على النفوس المخدومة « ليس أننا نسود على إيمانكم ، بل نحن مؤازرون لسروركم[٢] » « ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئياً أيها الأخوة كمذكر لكم بسبب النعمة التى وهبت لى من الله ، حتى أكون خادماً ليسوع المسيح مباشراً لإنجيل الله ككاهن[٣] . . . أنسكب أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته . . . ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس أسر وأفرح معكم أجمعين[٤] ».

(١) ١يو ٣ : ١٥ (٢) ٢كو ١ : ٢٤ (٣) رو ١٥ : ١٥ (٤) فى ٢ : ١٧

أيضاً التبشير والخدمة والكهنوت والرعاية فى الكنيسة ، ليست رتباً ومناصب ، بل يحلو لطقس الكنيسة أن يسميها (طغمات) لأنه لا ينبغى أن الكنيسة المقدسة تشابه عالم الخطيئة وأمور الدنيا . « رؤساء الأمم يسودونهم ، والعظماء يتسلطون عليهم ، فلا يكون هكذا فيكم . بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً ، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً ، فليكن لكم عبداً ، كما أن إبن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين[1] » . وأيضاً « أكبركم يكون خادماً لكم[2] » . كما يوصى الرسول بطرس شيوخ الكنائس : « أرعوا رعية الله التى بينكم . . . لا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة للرعية[3] » وهذه هى روح خدمة الرسول بولس : « فإننا لسنا نكرز بأنفسنا ، بل بالمسيح يسوع رباً ، ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع[4] » .

✞ سعى رجل الدين الأمريكى چيمى كارتر إلى منصب رئيس الولايات المتحدة . . . وكانت هى أقوى دولة فى ذلك العصر . وكان يُصرح فى حملته الإنتخابية أن سعيه لهذا المنصب هو لخدمة المسيح والمسيحية من خلاله ، وفعلاً فاز فى الإنتخابات . . . ولكن يقال أنه لم يضر المصالح الأمريكية فقط ، بل وأضر بالمسيحية أيضاً داخل أمريكا وخارجها !!!

الله يستخدم بطرس الصياد ، ومتى العشار ، ومرقس ذا الحذاء المقطوع لكى ينشر كرازته . . . فمثل هؤلاء هم قادرون على خدمة غسل الأرجل ، ليس طقسياً فقط ، بل وعملياً كذلك . « أنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض[5] » .

---

(١) متى ٢٠ : ٢٥ – ٢٨ (٢) متى ٢٣ : ١١ (٣) ١بط ٥ : ٣ (٤) ٢كو ٤ : ٥
(٥) يو ١٣ : ١٤

✞ لولا أن خلع مكسيموس ودودماديوس ، ذوى السيرة الملهبة ، تيجانهم الدنيوية من على رؤوسهم ، لما سمعنا عنهما فى كل قداس إلهى ، وفى سير القديسين المروية للقلوب العطشى .

التأثير المسيحى ، والقداسة قد لايتحققان مع رتب ومناصب ، سواء دنيوية أو كنسية . . . مما حدا بالقديس يوحنا ذهبى الفم أن يقول قوله الشهير : « عجبى على رئيس يخلص ! » مع كونه هو نفسه كان بطريركاً . . . لأنه ماقيمة أن يقول أحد البطاركة – إننى بطريرك على مليار مسيحى مثلاً . ترى كم من هذا المليار سيرث السماء ، وكم منهم سيهلك ؟ وكم منهم إعثروا بواسطنه ، وكم منهم سيطلب الله دمهم من يده . . . ؟

✞ مالم نعد إلى المفهوم المسيحى الحقيقى للخدمة ، ستبقى كنائسنا قليلة أو عديمة الثمار . . . وسينضب عمل الروح القدس وينطفىء ، وتشح المواهب ، وتنعدم الآيات والمعجزات التى وعد بها المسيح كنيسته ، ولا تستطيع تعاليم الكنيسة أن تثبت أمام الإعلام الدنيوى الهادر حولها ، ويفقد أبناء الكنيسة روح الإنتماء والبذل والإستشهاد من أجلها ، لأنها أضحت لا فرق بينها وبين مؤسسات الدنيا .

✞ قد يحتمل المخدومين ، كما قال الرسول بولس : « إن كان أحد يستعبدكم ، إن كان أحد يأكلكم ، إن كان أحد يرتفع ، إن كان أحد يضربكم على وجوهكم على سبيل الهوان[1] » .

ولكن لا يظن الكاهن الذى من هذا الطراز الذى يتحدث عنه الرسول بولس إنه يستطيع أن يربح نفساً واحدة للملكوت ، بل كل عمله مهما عظم ، هو قش مهيأ للحريق .

---

(١) ٢كو ١١ : ٢٠

٩ - الدماء الصارخة :

ماذا فعلت ؟ (تك ٤ : ١٠)

لم تستطع الأرض أن تكتم دم هابيل الصديق ، بل قد إرتفعت هذه الدماء حتى الحضرة الإلهية ، تتكلم عن آلام الأرض وتصرخ من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان . وحينما حاولت الأرض أن تكتم الدم ، جلبت اللعنة الإلهية على نفسها ، وحينما حاول قايين أن يتنصل من دم أخيه ، دب فيه الخوف والهلع ، ودخل فى حالة نفسية سيئة من الهروب بلا مطارد ، والتوهان على وجه الأرض الشاسعة كل هذا تم مع صوت الله : ماذا فعلت ؟ صوت دم أخيك صارخ إلىَّ من الأرض . فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يديك . . . تائهاً وهارباً تكون فى الأرض[١] » .

✝ لابد أن يكون واضحاً كل الوضوح ، أن الأبرار والصديقون وأتقياء الله فى هذا العالم ، هم فى ضيقة : « هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة . . . يمسح الله كل دمعة من عيونهم[٢] » وقد قالها ربنا يسوع له المجد بكل وضوح : « فى العالم سيكون لكم ضيق[٣] » . « تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم إنه يقدم خدمة لله[٤]» والرسول بولس يُفصل هذه الضيقات : « فى الأتعاب أكثر ، فى الضربات أوفر ، فى السجون أكثر ، فى الميتات مراراً كثيرة . . . بأخطار لصوص ، بأخطار من جنسى ، بأخطار من الأمم ، بأخطار فى المدينة ، بأخطار فى البرية ، بأخطار من أخوة كذبة . فى تعب وكد . . . فى أسهار مراراً كثيرة ، فى جوع وعطش . فى أصوام مراراً كثيرة ، فى برد

---

(١) تك ٤ : ١٠ (٢) رؤ ٧ : ١٤ (٣) يو ١٦ : ٣٢ (٤) يو ١٦ : ٢

- وعرى[1] » وأيضاً « فى صبر كثير ، فى شدائد ، فى ضرورات ، فى ضيقات ، فى ضربات ، فى سجون ، فى إضطرابات ، فى أتعاب ، فى أسهار فى أصوام ، فى طهارة ، فى علم ، فى أناة . . . بمجد وهوان ، بصيت ردىء وصيت حسن . كمضلين . . . كمجهولين . . . كمائتين . . . كحزانى ونحن دائماً فرحون . كفقراء ونحن نغنى كثيرين . كأن لا شىء لنا ونحن نملك كل شىء[2] ».

✞ قد ينزوى المظلوم المعذب فى ركن ، ويستغرق فى أحلام اليقظة بأنه أفضل من معذبه أخلاقياً وتمسكاً بالمبادىء ، وإنه شهيد بدون سفك دم أو بسفكه . . . وقد يعزى نفسه بأنه لولا إنه أكثر فضيلة من الذى يظلمه ، لما حنق عليه ظالمه هكذا ، وفكر فى إيذائه بهذه الصورة الفادحة . ويقول لنفسه : إننى أشفق عليه ، مسكين هذا الشرير ، . . . مقنعاً نفسه أن عنده قيماً ، ومُثلاً عليا ، لايرقى ظالمه إليها . . .

هذه ليست مشاعر أبناء الله تجاه العالم الذى يضطهدهم لأن هذا أسلوب نفسانى خادع . . . إنها مجرد طريقة تعويضية فى التفكير لتوازن بها الإذلال النفسى . . .

أبناء الله عندما يواجهون الإضطهاد من أجل المسيح ، يعلمون تماماً إنه موجه لشخص المسيح الذى فيهم ، لأن العالم رفض ويرفض وسيرفض المسيح : « من يقبلكم يقبلنى ، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى ، ولكنهم قد أبغضونى أنا وأبى[3] » . فالمشكلة هى بين العالم والمسيح ، إنها مشكلة يحلها المسيح نفسه ، وليس أبناء الله مع العالم . . .

أبناء الله يحملون رسالة إلى العالم ، قد يقبلها البعض وقد يرفضها البعض بغضب وعنف : « وأية مدينة دخلتموها وقبلوكم فكلوا مما يقدم

---

(١) ٢كو ١١ : ٢٣ – ٢٧ (٢) ٢كو ٦ : ٣ – ١٠ (٣) يو ١٥ : ٢٤

لكم ، وأشفوا المرضى الذين فيها ، وقولوا لهم قد إقترب منكم ملكوت الله . وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم ، فإخرجوا إلى شوارعها ، وقولوا حتى الغبار الذى لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم ، ولكن إعلموا هذا ، إنه قد إقترب منكم ملكوت الله . وأقول لكم إنه يكون لسدوم فى ذلك اليوم حالة أكثر إحتمالاً مما لتلك المدينة[١] ».

✞ كان هابيل واسطة رائعة وشفيع مؤثر لجلب رضى الله على أسرة آدم المطرودة من الجنة ، إذ قد قبل الله قرابينه تمهيداً لعودة هذه الأسرة التعسة إلى الجنة . . . فلماذا يُقتل ؟ هابيل ذاته لم يتأثر بالقتل – بل كان القتل بركة له إذ عجل القتل فى مثول دمه • (الذى هو النفس[٢]) فى الحضرة الإلهية أمام الله ، الأمر الذى كان يشتهيه شهوة وهو يقرب قربانه . . .

ثم إحتاجت البشرية إلى دم آخر بعد إتساعها ، يتكلم أفضل من هابيل[٣] . لجلب رضى الله . دم إلهى[٤] . دم يسوع المسيح[٥] . خذوا إشربوا ، هذا هو دمى للعهد الجديد[٦] . الحق الحق أقول لكم ، إنى لا أشربه إلا جديداً فى ملكوت أبى[٧] . هاهو دم حمل الله المذبوح يشفع فى السماء من أجلنا[٨] . بصورة أفضل من دماء هابيل الصارخة .

« فإذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلي الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً ، حياً (مجتازاً) بالحجاب (أى جسده) لنتقدم بقلب صادق فى يقين الإيمان[٩] » « فكان يلزم أن أمثلة الأشياء التى فى السموات تُطهر بهذه (أى هابيل كمثال للمسيح) . . . لأن المسيح قد دخل إلى السماء عينها ليُظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا . . . قد أظهر مرة عند

---

(١) لو ١٠ : ٨ – ١٢ (٢) تك ٩ : ٦ (٣) عب ١٢ : ٢٤ (٤) أع ٢٠ : ٢٨
(٥) ١بط ١ : ١٩ (٦) متى ٢٦ : ٢٨ (٧) ٢٩ (٨) رؤ ٥ : ٩ ، ١٢ (٩) عب ١٠ : ١٩ ، ٢٢

إنقضاء الدهور ليُبطل الخطيئة بذبيحة نفسه[1] » « هذا (المسيح) قد جلس فى يمين عرش العظمة فى السموات ، خادماً للأقداس والمسكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان[2]» « من أجل إنه يبقى إلى الأبد . . . يقدر أن يُخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم[3]» « لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا (فى المسيح) الذى هو لنا كمرساة للنفس ، مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ماداخل الحجاب . حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا[4] ».

١٠ - من أين ، وإلى أين ؟

ياهاجر جارية ساراى :
من أين أتيت ، وإلى أين تذهبين ؟
(تك ١٦ : ٨)

وبارك الرب إبراهيم فى كل شيء[5] . لقد إغتنى إبراهيم جداً . « وكان إبراهيم غنياً جداً فى المواشى والفضة والذهب[6] » ومع الحياة البدائية فى الخيام التى كان يعيشها مع أسرته ، إزدادت أعباء الأعمال اليومية - من رعى للمواشى ، إلي الزراعة ، إلى حماية الممتلكات من المغيرين . . . ولايستطيع إبراهيم أن يقوم بكل هذه المهام وحده . لذلك ، إستخدم أكثر من ثلثمائة وثمانية عشر من الغلمان[7] . وجعلهم تحت إدارة أحد عبيده ، هو أليعازر الدمشقى[8] . أما إدارة الشئون المنزلية فقد تركها لسارة زوجته ، ومعها جوارى ، كان من أبرزهن هاجر المصرية[9] . أما إبراهيم فكان يقضى أوقاته فى الدعاء باسم الرب الإله

---

(١) عب ٩ : ٢٣ - ٢٨ (٢) عب ٨ : ١ ، ٢ (٣) عب ٧ : ٣٥ (٤) عب ٦ : ١٩
(٥) تك ٢٤ : ١ (٦) تك ١٣ : ٢ (٧) تك ١٤ : ١٤ (٨) تك ١٥ : ٢ (٩) تك ١٦ : ١ ، ٢٥ : ٦

السرمدى وبناء مذابح للرب يقدم عليها ذبائحه . وكذلك إضافة الغرباء وخدمتهم بنفسه ، كما يتسلى بغرس فسائل الأشجار[1] .

لم يكن النظام الإجتماعى أيام إبراهيم ، نظام رق جائر وعبودية منوحشة ، بل كان للعبيد والإماء أن يرثوا سادتهم : « وقال إبراهيم لعبده كبير بيته ، والمسئول على كل ماكان له[2] . . . » وكأنهم من أفراد أسرته . من هنا أتت وصايا العهد الجديد : « أيها السادة ، قدموا للعبيد العدل والمساواة ، عالمين أن لكم أنتم أيضاً سيداً فى السماوات[3] » . بل أن الرسول بولس أوصى فيليمون المسيحى ، أن يقبل إليه مرة أخرى عبده الهارب إنسيموس الذى إعتنق المسيحية « كأخ فى الرب والجسد[4] » .

✞ على أية حال ، لقد حازت هاجر الجارية المصرية ثقة مولاتها سارة ، وكأنها وصيفة خاصة لها ، وكاتمة أسرارها . لدرجة أن سارة هى التى إقترحت على زوجها إبراهيم أن يُنجب لها طفلاً من هاجر لتتبناه هى ، حيث إنها هى نفسها كانت عاقراً . وبالفعل حملت هاجر جنيناً فى بطنها من إبراهيم ، وبدأت كل المشاعر البشرية السيئة تتحرك بين سارة وهاجر ، فتحول الخضوع والألفة عند هاجر إلى إحتقار وإزدراء لمولاتها ، وتحولت الثقة عند سارة إلى إذلال وإضطهاد لهاجر ! .

أحست سارة ، وربما تخيلت أن إبراهيم زوجها بدأ يهتم بهاجر جاريتها ، أكثر منها ، لأنها ستلد له إبناً ، وهى عاقر ، فقالت محتجة على إبراهيم : « ظلمى عليك أنا دفعت جاريتى إلى حضنك ، فلما رأت أنها حبلت ، صغرت فى عينيها . يقضى الرب بينى وبينك[5] » ووسط

---

(١) تك ٢١ : ٣٣ (٢) تك ١٥ : ٢ ، ٢٤ : ٢ (٣) كو ٤ : ١ (٤) فل ١٦

(٥) تك ١٦ : ٥

هذا الجو المشحون ، لم يشأ إبراهيم أن يتدخل فى هذه الشئون النسائية وكأنه يقول لسارة : أليست هذه مشورتك من البداية ؟ « هوذا جاريتك فى يدك ، أفعلى بها مايحسن فى عينيك[1] » فأذلتها سارة ، فهربت هاجر من وجهها إلى برية بئر سبع وربما كانت تنوى أن تواصل السير عائدة إلى مصر موطنها الأصلى . . .

وهكذا كل المشورات البشرية البعيدة عن إنتظار عمل الله ، لابد وأن تجلب التوترات ، وفقدان السلام . . . ولكن الله ، من أجل إبراهيم ، أرسل ملاكه ولاقاها عند الماء فى برية بئر سبع وناداها :

من أين أتيت يا هاجر ؟ وكان الرد الذى أحست به هاجر فى قلبها على هذا السؤال ، هو إنها أتت من الكبرياء والتشامخ على مولاتها سارة . . . ولكنها لم تنطق . . . وإلى أين تذهبين يا هاجر ؟ وأيضاً ربما أحست هاجر بالإجابة على هذا التساؤل فى قلبها دون أن تنطق بأنها ذاهبة إلى التيه والضياع ،هى والجنين الذى فى بطنها فالنتيجة الطبيعية للكبرياء والتشامخ هو التيه والضياع . . . وماهو العلاج لهذا الموقف ؟

إتضعى يا هاجر فى مشاعرك نحو مولاتك ، وتنازلى عن كبريائك وتشامخك بالخضوع والطاعة لها : « إرجعى إلى مولاتك وإخضعى تحت يدها[2] » .

وما أن بدأت هاجر خطوات العودة ، خضوعاً للمشيئة الإلهية ، حتى عزاها الصوت الإلهى بالآتى :

١ – **وعد إلهى مفرح** : تكثيراً أكثر نسلك فلا يُعد من الكثرة[3] .

٢ – **حفظ عجيب** : هاأنت حبلى فتلدين إبناً[4] .

٣ – **تعزية فائقة** : لأن الرب قد سمع لمذلتك[5] .

---

(١) تك ١٦ : ٦ (٢) تك ١٦ : ٩ (٣) تك ١٦ : ١٠ (٤) تك ١٦ : ١٣

(٥) تك ١٦ : ١١

٤ – **إختبار رؤية الله** : فدعت إسم الرب الذى تكلم معها . أنت إيل رئى . لإنها قالت . . . رأيت بعد رؤية[١] .

٥ – **الإرتواء من ماءحى** : دعت البئر بئر لحى رئى[٢] . [أى رؤية مّحيية] كما عبر صاحب المزامير أيضاً إذ قال : « يرتوون من دسم بيتك ، ومن نهر نعمتك تسقيهم[٣] » .

✞ وعادت هاجر وفرّحت قلب إبراهيم ، بأن ولدت له إبنه الأول ، إسماعيل (يعنى الله يسمع) كما سماه الملاك . ووجدت كل عناية وحنو فى الأسرة هى وإبنها . . . إلى تمام الموعد الذى وعد به الله إبراهيم :

« بإسحق يدعى لك نسل[٤] » لأن الله قال عن إسماعيل إنه مولود حسب الجسد[٥] . وإنه « من جبل سيناء الوالد للعبودية[٦] » و « إنساناً وحشياً ، يده على كل أحد ، ويد كل أحد عليه[٧] » .

١١ - هذا السر عظيم :

أين سارة إمرأتك ؟ (تك ١٨ : ٩)

فى صلوات الزيجة المقدسة ، توجد صلاة جوهرية ، تُعتبر هى مركز السر ، حين يرشم كبير الكهنة العروسين بالصليب قائلاً :

كللهما بالمجد والكرامة أيها الآب آمين

باركهما أيها الإبن الوحيد آمين

قدسهما أيها الروح القدس آمين

هنا الثالوث القدوس يحوّل العروسين إلى شبه المسيح والكنيسة فى إرتباطهما الأبدى . . . لأن الثالوث القدوس الآب والأبن والروح

---

(١) تك ١٦ : ١٣ (٢) تك ١٦ : ١٤ (٣) مز ٣٦ : ٨ (٤)تك ٢١ : ١٢ ، رو ٩ : ٧
(٥) غل ٤ : ٢٣ (٦) غل ٤ : ٢٤ (٧) تك ١٦ : ١٢

القدس ، هو الفاعل فى السر المقدس -الآب يكلل بالمجد والكرامة ، والإبن يبارك ، والروح القدس يقدس .. وهكذا تتكون الأسرة المسيحية والعجيب أنه في العهد القديم حينما زار ثلاثة رجال [رمز الإبن المتجسد مع ملاكين] توجهوا بالسؤال إلى إبراهيم : أين سارة إمرأتك ؟

ويُعتبر زواج إبراهيم وسارة زواجاً نموذجياً على أعلا مستوى من الروحانية .. كان إبراهيم وسارة كلاهما من أب واحد هو تارح ، ولكن من إمرأتين مختلفتين . وكانت مثل هذه الزيجات جائزة فى العهد القديم[1] .

✞ خرجت سارة مع إبراهيم من أرض الكلدانيين ليتحملاً مشقة الغربة فى أرض الموعد بناءَ على أمر الله لإبراهيم ، الذى خرج وهو لايعلم إلى أين يأتى[2] .. ولم تعترض سارة ، ولاجادلت إبراهيم فى مستقبل مضمون بدل المجهول[3] .

✞ لما حدثت مجاعة فى أرض كنعان ، إنحدرت سارة مع إبراهيم إلى أرض مصر ، وأطاعته بقولها إنه أخوها حتى لايقتلوا إبراهيم بسببها ، تعرضت للخطر فى بلاط فرعون .. ولكن الرب تدخل وأنقذهما ، وعادا بخير وفير[4] .

✞ دفعت سارة جاريتها إلى زوجها إبراهيم كى ينجب منها نسلاً حين علمت إنها عاقر ، وأن النسل سيسعد إبراهيم ، مؤثرة سعادة زوجها ، حتى ولو على حساب تعاستها هى[5] .

✞ كانت لا تدعو إبراهيم إلا سيدى .. سيدى[6] .

✞ كانت سعب عاملة بيديها لتجهيز طعام لضيوف إبراهيم ،

---

(١) تك ٢٠ : ١٢ (٢) عب ١١ : ٨ (٣) تك ١٢ : ٥ (٤) تك ١٢ : ١٦

(٥) تك ١٦ : ٣ (٦) ١بط ٣ : ٦

رغم كثرة العبيد والجوارى عندها ، فقد عجنت وخبزت ثلاث كيلات دقيق سميذا وصنعتهم خبز مله[1] .

✟ تغربت سارة مع إبراهيم مرة ثانية فى جرار ، وتعرضت لنفس الخطر عند أبيمالك ملك جرار ، عالمة أن الرب سيحفظها ولايمسسها سوء .

أما عن معاملة إبراهيم لزوجته سارة .

✟ فقد كان لها كمثل غطاء عين[2] .

✟ لم تكن علاقتهما شهوانية ، فبعد عشرات السنين من العشرة ، نجد إبراهيم يقول لزوجته وهما نازلان ليتغربا فى أرض مصر : « إنى قد علمت أنك إمرأة حسنة المنظر[3] » فتعرضهما للخطر ، هو الذى فرض عليه هذا التفكير .

✟ عندما رأى أن موضوع حبل هاجر قد أثار الغيرة فى زوجته ، لم يتمسك بهاجر ولابإبنه الأول الذى كان فى بطنها ، بل إهتم بمراعاة شعور زوجته سارة وقال لها ببساطة : « هوذا جاريتك فى يدك أفعلى بها ما يحسن فى عينيك[4] » .

✟ وعندما ماتت سارة ، بكى إبراهيم وندب عليها ، وإشترى ملك قبر ليدفن ميته ، وهى مغارة المكفيلة التى فى حقل عفرون الحثى ، ودفنها هناك . . وأوصى بأن تدفن عظامه بجوار عظام زوجته[5] .

✟ أعطى إبراهيم إبنه إسحق الذى من سارة كل ماله ، كل ميراثه الروحى والمادى ، أما أبناء الجوارى والسرارى فقد منحهم هبات وصرفهم بعيداً عن إسحق[6] . . .

---

(١) تك ١٨ : ٦ (٢) تك ٢٠ : ١٦ (٣) تك ١٢ : ١١ (٤) تك ١٦ : ٦
(٥) تك ٢٣ (٦) تك ٢٥ : ٥ ، ٦

وهكذا ظل كلاً من الزوجين مخلصاً ووفياً للطرف الآخر حتى الموت وما بعد الموت . . . كل يراعى شعور الآخر إلى أبعد حد . . وكلٌ يوقر ويحب ويشارك ويبذل من أجل الآخر .

وهذه هى الحياة الزوجية عند رجال الله الأتقياء . . .

✞ نعود إلى سؤال الله لإبراهيم عن زوجته : أين سارة إمرأتك ؟ لقد كانت آنذاك فى الخيمة .

والخيمة فى المفهوم الروحى هى الجسد الذى نحن عائشون به على الأرض : « لأننا نعلم أنه إن نُقض بيت خيمتنا الأرضى[1] . . . »و« عالماً أن خلع مسكنى قريب[2] . . . » ثم يقرر الرسول بولس : « فإننا نحن الذين فى الخيمة . . متغربون عن الرب[3] » وعلى هذا نرى أن الله يستدعى سارة إلى خارج الخيمة [أى خارج المفاهيم الجسدية المحدودة] لتتلاقى مع الله ، وتنال وعوده الإلهية التى لابد أن تتحقق فى زمان الحياة .

أخرجى ياسارة من خيمة التفكير الجسدانى ، لتشاركى الخطة الإلهية

أخرجى ياسارة من خيمة التشكك فى وعود الله ، ولا تلتفتى إلى أحشائك الذابله الميتة[4] .

أخرجى ياسارة من خيمة الضحك والإستخفاف بكلام الله الذى سيتم فى أوانه . . .

وحالما يخرج كل إنسان من محدودية هذه الخيمة الكئيبة ، سرعان ما يتقابل مع الله ، وينال منه المواعيد التى ستتحقق فى زمان الحياة ، أما المتشبث بالخيمة ، فليس فيه سوى الحرمان والعقر والموت . . .

فهل نتحرر فكرياً من خيمة الجسد لننطلق إلى رحابة الروح ؟؟؟.

---

(١) ٢كو ٥ : ١ (٢) ٢بط ١ : ١٣ (٣) ٢كو ٥ : ٤ ، ٦ (٤) عب ١١ : ١١

١٢ - لأنها خافت :

لماذا ضحكت سارة قائلة : أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت؟

(تك ١٨ : ١٣)

كانت سارة فى التسعين من عمرها ، حينما زار الثلاثة رجال إبراهيم ، ووعدوه بأن سارة ستحبل وتلد له إبن كل مواعيد الله . هناضحكت متشككة فى الكلام كله غير مصدقة : « وقد إنقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء ، فضحكت سارة فى باطنها قائلة : أبعد فنائى يكون لى تنعم ، وسيدى (أى إبراهيم) قد شاخ[1] » ؟ إنها حالة الشك والريبة فى كلام الله . . .

ولما راجع الثلاثة رجال إبراهيم قائلين : لماذا ضحكت سارة ؟ أنكرت سارة قائلة لم أضحك . لأنها خافت[2] » .

الخوف من الله حوّل شك سارة إلى إيمان !! وهذا نجده فى الرسالة للعبرانيين ، حيث ذكر سارة ضمن قائمة أبطال الإيمان : « بالإيمان سارة نفسها أيضاً أخذت قدرة على إنشاء نسل ، وبعد وقت السن ولدت ، أذ حسبت الذى وعد صادقاً[3] » .

وأعتقد أن هذا هو الإستعمال المفيد والوحيد للخوف - حين يخاف الإنسان الله ، ويتجنب إغضابه ، فيؤمن بكلامه ، وينفذ وصاياه ، ويعبده هو وحده ، إتقاءً لعقابه ، فيكون إنساناً تقياً خائفاً الله .

---

(١) تك ١٨ : ١١ ، ١٢ (٢) تك ١٨ : ١٥ (٣) عب ١١ : ١١

✞ مخافة الرب رأس المعرفة [١] .

✞ سمر خوفك فى لحمى ، لأنى من أحكامك جزعت[٢] .

✞ مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى[٣] .

كانت سارة داخل الخيمة ، وكان ضحكها فى باطنها فقط[٤] ، رغم هذا ، وجدت الثلاثة رجال [وكانوا بعيداً ، خارج الخيمة مع إبراهيم] قد علموا إنها ضحكت فى باطنها ! فاستنتجت على الفور أنهم من الكائن السمائى الذى عيناه تخترقان أستار الظلام[٥] . وكل شىء عريان ومكشوف لديه ، لذلك خافت ، وتحت تأثير مشاعر الخوف ، آمنت أن وعدهم لابد وأن يكون صادقاً بالرغم من كل شىء ولقد ردت بأنها لم تضحك ، لأن ضحكها كان فى باطنها فقط ، ولم يظهر على وجهها ، ولاعبرت عنه بصوت . . أما الإله العارف بالبواطن[٦] . فقد قال لها : « لا بل ضحكت » .

✞ الكتاب المقدس يحث المؤمنين أن لا يخافوا من شىء البتة[٧] . حتى من الذين يقتلون الجسد[٨] . وعندما نحصى عدد المرات التى ذكر فيها الكتاب المقدس « لاتخف » نجدها ٣٦٦ آية ، أى بعدد أيام السنة الكبيسة وكأنها وصية يومية على مدار السنة . وسفر الرؤيا ، جعل الخائفين على أول قائمة من سيطرحون فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت[٩] .

---

(١) أم ١ : ٧ (٢) مز ١١٩ : ١٢٠ (٣) عب ١٠ : ١٣ (٤) تك ١٨ : ١٠ ، ١٢
(٥) أى ٣٤ : ٢١ ، ٢٢ (٦) مز ١٣٩ (٧) ١بط ٣ : ٦ (٨) متى ١٠ : ٢٨
(٩) رؤ ٢١ : ٨

ومن جهة أخرى ، يحث الكتاب المقدس المؤمنين أن يخافوا الرب الإله[١] . وأن يخشوه[٢] . وأن يتقوه[٣] ، وأن يفزعوا[٤] . ويرتعدوا[٥] . ويهابوا[٦] . ويرهبوا الرب الإله . . . فالخوف طاقة في الإنسان ، وضعها الله لكي نوجه نحو مخافته فقط ، إما إذا وجهت نحو شيء آخر غير الله ، فهذا عدم إيمان . وكل ما ليس من الإيمان فهو خطيئة[٧] .

الخائفون الذين وضعوا على رأس قائمة المطروحين في بحيرة النار حسب الآية ، « وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة ، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني[٨] » واضح إنهم لم يخافوا الله ، بل خافوا من السير في طرق الله ، مفترضين أن السير مع الله حرمان وعذاب وتعذيب . إنهم في الواقع غير مؤمنين بالسير وراء الله لذلك أتى (غير المؤمنين) في المرتبة الثانية على الفور في هذه القائمة .

✞ كثيرة هي مواعيد الله لخائفيه ، حتى أنه من كثرة المواعيد المعطاه لخائفي الرب ، ينطرح الخوف خارجاً ، ولا يبقى إلا الحب الإلهي في القلب : « لا خوف في المحبة ، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج[٩] » . . . وهذه مواعيد الله لخائفيه .

✞ كما يترأف الأب على البينين ، يترأف الرب على خائفيه[١٠] .

✞ ماأعظم جودك يارب الذي ذخرته لخائفيك[١١] .

---

(١) مى ١٠ : ٢٨ (٢) يش ٢٣ : ١٤ (٣) مت ١٣ : ٤ (٤) أع ٥ : ١١
(٥) ١أى ١٦ : ٣٠ (٦) ٢أى ١٩ : ٧ (٧) أش ٨ : ١٣ (٨) رو ١٤ : ٢٣
(٩) ١يو ٤ : ١٨ (١٠) مز ١٠٣ : ٣ (١١) مز ٣١ : ١٩

✞ من هو الإنسان الخائف الرب ، يُعلمه طريقاً يختاره ، نفسه فى الخير تبيت ، ونسله يرث الأرض . سر الرب لخائفيه وعهده لتعليمهم[1] .

على أية حال ، عندما دخلت مخافة الله فى قلب سارة ، وأدركت أن الله عالم ببواطن الأمور ، دخل الإيمان قلبها ، وعلمت أن من وعد هو قادر يقيناً أن يحقق ماوعد به . . .

وحملت سارة ، وتحولت الضحكات التى كانت فى بطنها إلى جنين إسمه إسحق [ومعنى الإسم ضحكاً] وكأن هذه الضحكات قد تجسدت فى المستودع المائت الذى لسارة إلى إبن حقيقى . . .

لك المجد ياإلهنا القدير

١٣ - القديـــر :

هل يستحيل على الرب شىء ؟ (تك ١٨ : ١٤)

✞ قاعدة راسخة ينبغى لكل من أراد أن يسير مع الله أن يضعها نصب عينيه وهى : أن لا ينظر إلى ضعفه ووهنه ، بل ينظر إلى الله القادر على كل شىء ، لا يركز على إمكانياته الخائرة السريعة النفاذ ، بل على إمكانيات الله غير المحدودة ، التى لا تنفذ .

---

(١) مز ٢٥ : ١٤

✞ إبراهيم وسارة ، كانا قد شاخا ، وكل إمكانيات الولادة وإنجاب أطفال ، قد فنت فيهما . لقد مات مستودع سارة وإنقطع أن يكون لها عادة كالنساء . . . وهكذا أيضاً إبراهيم . ولكن الله يؤكد لهما أن سارة ستحبل من إبراهيم وتلد إبناً !!!

إنها عملية إحياء الأعضاء الميتة . . . ومن يقدر أن يحيي من الموت سوى الله القدير ؟

وهكذا صار وتم بحسب الوعد ، في الزمن المحدد من الله .

✞ يحلو لكل القديسين الذين ساروا مع الله أن يلقبوا الله بـ « القدير » وهذا مانراه في الآيات التالية :

* ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير ، سر أمامي وكن كاملاً[1] .

* وقال يعقوب ليوسف : الله القادر على كل شيء ظهر لي[2] .

* وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بإني الإله القادر على كل شيء[3] .

* لأن القدير صنع بي عظائم ، وإسمه قدوس[4] .

* لك ذراع القدرة . قوية يدك . مرتفعة يمينك[5] .

---

(١) تك ١٧ : ١ (٢) تك ٤٨ : ٣ (٣) خر ٦ : ٣ (٤) لو ١ : ٤٣
(٥) مز ٨٩ : ١٣

* عند الله كل شيء مستطاع[1] .

* لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله[2] .

ويعوزني الوقت إن أوردت كل الآيات . . . ففي سفر أيوب وحده يُذكر الله بأنه القدير أكثر من ثلاثين مرة . . .

ولنورد الآن لمحات خاطفة ، مماإستطاع الإنسان المحدود أن يكتشفه من قدرة الله في خلقه :

الكون الهائل والأفلاك . . . فالكرة الأرضية على ضخامتها بقاراتها ومحيطاتها وقمرها ، ماهي إلا إحدى كواكب المجموعة الشمسية ولقد إستطاع الإنسان أن يكتشف ملايين الشموس في إطار سحيق أطلقوا عليه إسم « مجرة » بل وقد عرف الإنسان أربع مجرات حتى الآن وكل كوكب وكل نجم وكل شمس وكل قمر يسير في مدارات محكمة ومسارات محددة حسب كلمة الله القدير !!! آه أيها السيد الرب ، هاأنك قد صنعت السماوات والأرض بقوتك العظيمة وبذراعك الممدودة . لا يعسر عليك شيء[3] » .

تركيب الذرة . . . لقد إكتشف الإنسان قدرة الله في الهباء غير القابل للإنقسام والذي أطلقوا عليها إسم الذرة . . . فهي كرات غاية في الصغر ولكنها ليست مصمطة ، بل وجدوا إنها تتركب من جسيمات دقيقة ، إما سالبة (إلكترونيات) وهي تدور في مدارات خارجية حول نواة ، هذه

---

(١) مت ١٩ : ٢٦ (٢) لو ١ : ٣٧ (٣) أر ٣٢ : ١٧

النواة تتركب من جسيمات متعادلة (نيترونات) مع جسيمات موجبة (بروتونات) والنواة ترتبط وتتكتل مع بعضها بطاقة هائلة تسمى الطاقة الذرية . . . فحتى الهباء الصغير نقف أمامه لنتعلم قدرة الله الفائقة « قد علمت إنك تستطيع كل شيء ولا يعسر عليك أمر[1] ».

تنوع الطاقة . . . ولقد أبدع الله القدير خلق أشكال متنوعة من الطاقة -حرارية ، وضوئية ، وحركية ، وكهربية ومن الرياح ، والمساقط المائية ، ومغناطسية ، وذرية - وكلها مسخرة لخدمة الإنسان .

العناصر والتراكيب الكيميائية . . . ولقد إكتشف الإنسان حتى الآن أكثر من مئة عنصر ، قد تكون منفردة ، وقد تتحد مع غيرها من لعناصر لتكوّن مليارات المركبات الكيميائية لخدمة النبات والحيوان والإنسان .

تنوع الكائنات البيولوچية . . . إنه عنصر الكربون ، الذى له إرتباطات رباعية على شكل الصليب مع العناصر الأخرى ، وخلق الله هذا التنوع الهائل من الكائنات الحية ، فطريات وميكروبات ، وجراثيم وفيروسات ونباتات ، وأحياء مائية وحشرات وطيور وحيوانات . . . ويتوج كل هذا خلقه لذلك المخلوق العجيب أى الإنسان . « الإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله إلي المساء . ماأعظم أعمالك يارب كلها بحكمة صنعت . ملآنة الأرض من غناك[2] ».

---

(١) أي ٤٢ : ٢ (٢) مز ١٠٤

العالم غير المنظور . . . كل الخلائق الحية تحس بالبيئة التى تعيش فيها ، أما إحساس الإنسان ، فزيادة على إحساسه بالبيئة ، يحس باللامنظور ، ويمتد إلى الأمور التى لا ترى . إنه يحس بالله خالقه القدير « مالم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ماأعده الله للذين يحبونه[1] » و « نحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى بل التى لا ترى . لأن التي ترى وقتية ، وأما التى لا ترى فأبدية[2] » .

لك التسبيح يا إلهنا القدير ...

١٤ - الله يريد صديقاً يُفضى له بأسراره :

هل أخفى عن إبراهيم ماأنا فاعله ؟

(تك ١٨ : ١٧)

عاش إبراهيم متمتعاً بحنان الله عليه ، فقد وهبه الله بركات فى حياته الحاضرة حتى صار من أغنياء بنى المشرق ، كما وعده الله وعود رائعة تمتد إلى كل الدهور . . . وهذا هو الجانب الذى يختبره كل مؤمن بالله ، شديد الإخلاص له .

ولكن هناك جانب آخر فى إختبارات الإنسان مع الله ، قد يغيب عن

(١) اكو ٢ : ٩ (٢) ٢كو ٤ : ١٨

ذهن المؤمنين الأبرار ، وهو أن الله يعاقب الأشرار ويتابعهم برجزه ، حتى يقطعهم تماماً من أرض الأحياء . . .

الله يبدو فى هذا التساؤل ، كأنه يتفاوض مع نفسه : هل أُخبر عبدى إبراهيم المؤمن البار ، والذى لا يعرف فىَّ إلا جانب الحنان والرحمة والإشفاق ، وأفضى له بإننى ساخط على شر مدينتى سدوم وعمورة ، وإننى سأسكب رجزى على سكانها الأشرار . . . أم أُخفى عنه هذا الجانب ؟ ولقد رجح الله كفة أن يُخبر إبراهيم للأسباب الآتية :

أولاً : لأن إبراهيم سيكون أمة كبيرة وقوية . . . فيُسجل فى تاريخها وتراثها حادثة إحراق الله لمدينتى سدوم وعمورة ، عبرة على مدى الأجيال وعلى إتساع هذه الأمة . . . فيعلم الجميع أن الشر يُحدث تلفاً وتآكلاً ونخراً فى هذه الأمة مهما عظمت حتى تهلك فى النهاية !!

ثانياً : لأن جميع قبائل الأرض ، ستتبارك بإبراهيم . وطلب رضى الله ، وتوقيره و مخافته هو أعظم بركة ، فيبتعدوا عن الخطايا والآثام . . .

ثالثاً : صادق الله إبراهيم ، وجعله خليلاً له ، ولقد خص إبراهيم بإهتمامه ومعرفته ، لذلك يريد الله أن يستعلن ذاته لإبراهيم ، ويفضى له بأسراره . . .

رابعا : « لكى يوصى بنيه من بعده أن يحفظوا طريق الرب ، ليعملوا براً وعدلاً[1] » . . . فالطبيعة البشرية إن لم تردع برؤية العقاب والصرامة التى تجرى على المتهاونين ، تنحدر بسهولة إلى التسيب والإنحلال . فقد جاء فى سفر حزقيال النبى : « هذا كان إثم أختك سدوم الكبرياء والشبع من الخبز ، وسلام الإطمئنان . كان لها ولبناتها ، ولم تشدد يد الفقير والمسكين ، وتكبرن وعملن الرجس أمامى فنزعتهن كما رأيت[2] » .

خامساً : « لكى يأتى الرب لإبراهيم بما تكلم به[3] » فلقد وعد الله إبراهيم وعوداً كثيرة ، سيحققها له ولذريته لأجيال كثيرة ، والله يريد أن يحققها بلا مانع ولا عائق ، حيث إنه لو مالت ذرية إبراهيم عن طاعة الله فسوف لا يحقق الله وعوده لها . فكتابة قصة خسف الله لسدوم وعمورة بسبب شرورهما تكون رادعاً قوياً للعتيدين أن يفجروا كما كتب الرسولان بطرس ويهوذا فى رسائلهما[4] » . « لا تحسد الظالم ، ولا تختر شيئاً من طرقه . لإن الملتوى رجس عند الرب ، أما سره فعند المستقيمين[5] » و « إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سره لعبيده الأنبياء[6] » .

« سر الرب لخائفيه ، وعهده لتعليمهم[7] » .

---

(١) تك ١٨ : ١٩ (٢) حز ١٦ : ٤٩ (٣) عدد ١٩ (٤) ٢بط ٢ : ٦ ، يه ٧
(٥) أم ٣ : ٣٢ (٦) عا ٣ : ٧ (٧) مز ٢٥ : ١٤

✞ نص إعلان الله لإبراهيم كان هكذا : « إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدا . أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلىّ ، وإلا فأعلم[1] » ترى أى صراخ قد وصل إلى مسامع الله ؟ هل صراخ الأرض من شر الساكنين فوقها ؟ أم صراخ النفوس الخالدة من شر تسلط الجسد بشهواته الزفرة ؟ أعنى ، صراخ أرواح البشر التى لها حياة أبدية ، وهى تعانى من جموح جسدها الذى يجرها إلى الفساد والهلاك بهذه الصورة ؟ أم ترى صراخ الأطراف المظلومة والمقهورة ، المجبرة على مسايرة الأشرار الظالمين كمثل لوط الذى كان « مغلوباً من سيرة الأردياء في الدعارة ، إذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة[2] » قد يكون الله قد سمع صراخ الأطفال الذين فقدوا براءتهم والشيوخ الذين أصبحوا غير قادرين على التوبة بإزاء عتو تيار الخطيئة الكاسح !!

✞ قول الله : « أنزل وأرى . . . وإلا فأعلم[3] » هو تعليم رائع يضعه الله أمام أعيننا . فليس على الإنسان أن يحكم على الأمور من مجرد سماع الأذن . لأنه إن كان الله العالم بكل شىء ، « وكل شىء عريان ومكشوف للذى معه أمرنا[4] » يتحقق أولاً قبل حُكمه على الأمور ، فهل يحكم الإنسان المحدود لمجرد سمع أذنيه دون أن يستوثق جيداً !!!

أيام نوح رأى الله أن شر الإنسان قد كثر[5] ، وفى أيام يونان ، كان شر أهل نينوى **قد صعد إلى الله**[6] . . .

---

(١) تك ١٨ : ٢٠ ، ٢١ (٢) ١بط ٢ : ٩ (٣) عب ٤ : ١٣
(٤) تك ٦ : ٥ (٥) يون ١ : ٢

✞ هال إبراهيم المصير المشئوم الذى ينتظر سدوم وعمورة وهو « مكابدة نار أبدية[1] » . فظل يشفع لعل فيها عشرة أبرار فيعفو الله عن هلاك البلاد ، ولكن لما علم إنه لا يوجد فى تلك المدن الكبرى مجرد عشرة أبرار فقط ! تفهم عدل الله ، وصمت أمام أحكام الله العادلة . . . وهكذا نرى أن الصلاة لا تُغير أحكام الله الثابتة ، ولكنها تُغيّر عقلية الإنسان وتفكيره ، لكى يتفهم أحكام الله ، ويمجد الله عليها . . .

✞ الله فى عدله لا يُهلك البار مع الأثيم حتى وهو فى ذروه الغضب والرجز ! « يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين معاقبين[2] » لقد أخرج لوط وإبنتيه قبل أن يخسف بالمدن الفاجرة ويُمطر عليها ناراً وكبريتاً . . . وهكذا حنان الله على خائفيه . .

١٥ - التفكير فى المصير :

من لك أيضاً ههنا ؟ (تك ١٩ : ١٢)

أعطى الله لوط البار ليلة كاملة يحاول فيها أن يُقنع أنسباءه وأصهاره وأصدقاءه بالخروج من سدوم قبل إنقلابها . . . ولم يصدقه إلا بنتاه ، فهما فقط اللتان خرجتا معه . . . أما باقى أهل المدينة وكل الدائرة فظنوه يمزح ، وأستخفوا بكلامه . . .

---

(١) يه ٧ (٢) ١بط ٢ : ٩

تماماً مثل الكنيسة الآن حين تنادى بيوم دينونة إلهية قادم . . . إنها تكرز طوال ليل البشرية العائشة فى الخطيئة ، إلي أن ينفجر النهار وتنهزم الظلال[1] . ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم[2] . ولست أدرى من أين إكتسب الناس مناعة قوية ضد كل ماتنادى به الكنيسة ويستخفون بالحق الذى تبشرهم به !

✞ عندما يتواجد إنسان فى بيئة شريرة ، ويبدأ فى إرتكاب أول خطيئة له ، فعندما يجد أنه لم يصبه مكروه ، وأنه ذاق اللذة الجهنمية ، ليس لأن الله راضى عن مافعل ، ولكن لأنه يطيل أناته ، وقد يترك الله الإنسان ليذوق مرارة الخطيئة لعله يرتدع من ذاته . . . ولكن توهمه الخطيئة أنه فى أمان ، فيتجلد ويرتكب الخطايا الأشنع ويظن أنه مستقر فى الإطمئنان ، ويصل إلى إستنتاج فى أعماقه أن وصايا الله بلا جدوى ، بل هى قيد يشقى الإنسان ، فيكسرها بيد شديدة وذراع ممدودة ، وحينما تحين لحظة الدينونة وإنزال العقاب ، يكاد لا يصدق مايجرى له !! « قد رأيت الشرير عاتياً وارفا مثل شجرة شارقة ناضرة ، عبر فإذ هو ليس بموجود وإلتمسته فلم يوجد[3] » و « نحن نعلم أن دينونة الله هى حسب الحق على الذين يفعلون مثل هذه . أفتظن هذا أيها الإنسان . . . أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول إناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلي التوبة . ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب ، تدخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب ، وإستعلان دينونة الله العادلة ، الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله[4] » .

---

(١) نش ٢ : ١٧ (٢) ٢بط ١ : ٩ (٣) مز ٣٧ : ٣٥ ، ٣٦
(٤) رو ٢ : ٣ - ٦

✞ إن رسوخ الأشرار فى طمأنينتهم الكاذبة ، جعل لوط نفسه بشك فيما ظل يكرز به طوال الليل ، فعند مجىء فجر يوم الهلاك بدأ يتوانى فى الخروج مما إضطر الملاكان أن يمسكا بيده هو وزوجته وبنتيه .

« لشفقة الرب عليه[1] » بل أن زوجته بعد خروجها فكرت فى التراجع والإرتداد فصارت عامود ملح . . . وهذا كله حدث « لأن الله ذكر (شفاعة) إبراهيم[2] ».

قد يخور خدام وكهنة العهد الجديد من تعاظم شر المخدومين ! ولكن شفاعة المسيح [رئيس الكهنة الأعظم] هى التى تجعلهم لا يتوانون فى مدن الشر مع الهالكين . . . وذلك لشفقة الرب على خدامه . . .

لقد طلب لوط من الملاكين أن يذهب إلى قرية صوغر القريبة ، حتى يكون له فرصة العودة إذا لم تحترق سدوم ! ورفع الله وجهه فى هذا الطلب ، رغم أن الله أمره بالذهاب إلى الجبل . . . ولما إنقلبت سدوم ، ذهب إلى الجبل بحسب أمر الله .

اللهم إغفر لكهنتك ضعف إيمانهم فيما ينادون به وإحسبهم من الأبرار من أجل شفاعة دم المسيح ، آمين .

✞ « من لك أيضاً ههنا » سؤال سأله الله للوط . . . وهو نفس السؤال الذى سأله المسيح له المجد لنفسه وهو فى العرش الإلهى ، حين قال بفم

---

(١) تك ١٩ : ١٦ (٢) آيه ٢٩

أشعياء النبى : « ماذا لى هنا . . . حتى أخذ (سُبىّ) شعبى مجاناً ؟[١]» .

السؤال للوط كان لكى يهرب لحياته[٢] . وينجو من الدمار . . .

أما سؤال المسيح لذاته فقد كان ليتخلى عن ذاته ويأخذ صورة عبد[٣] كى يفتدى المهددين بالدمار .

✞ داود النبى فى مزاميره تعرض أيضاً لهذا السؤال وكان له رد رائع يحتذى به كل مؤمن تقى : « إن كل ما لى ، هو فى السماء ، ومعك (يا الله) لا أريد شيئاً على الأرض[٤] . » « فلو ذكروا ذلك الذى خرجوا منه لكان لهم فرصة للرجوع ، ولكنهم الآن يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً ، لذلك لا يستحى بهم الله أن يدعى إلههم . لإنه أعد لهم مدينة[٥] » . . إنهم مقتنعون وبإستمرار مع المسيح القائل : « مملكتى ليست من هذا العالم[٦]» .

١٦ - ثمن المزاح :

مالك يا هاجر ؟ (تك٢١ : ١٧)

عادت هاجر بعد هروبها الأول إلى بيت إبراهيم إلى مولاتها سارة بعد أن خضعت لها كأمر الله . . . ثم ولدت إسماعيل ، وظلت فى رعاية هذه الأسرة المقدسة هى وإبنها الذى أحبه إبراهيم جداً ، وكان

---

(١) أش ٥٢ : ٥ (٢) تك ١٩ : ١٧ (٣) فى ٢ : ٦ - ٨ (٤) مز ٧٣ : ٢٥
(٥) عب ١١ : ١٥ (٦) يو ١٨ : ٣٦

يتضرع إلى الله من أجله : « وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك[1] » وظل إسماعيل طفلاً وحيداً مدللاً وسط كل الأسرة حتي بلغ أربع عشرة سنة ، حين ولدت سارة إبنها إسحق . . .

وفى وليمة فطام إسحق « رأت سارة إبن هاجر المصرية التى ولدته لإبراهيم يمزح . فقالت لإبراهيم : أطرد هذه الجارية وإبنها لأن إبن هذه الجارية لا يرث مع إبنى إسحق[2] » « فبكر إبراهيم صباحاً ، وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاها لهاجر . . . وصرفها »

ياللمزاح اللعين ، الذى جعل إسماعيل وأمه يدفعان ثمناً باهظاً – لقد طردا من البيت الآمن المقدس ، وتاها فى صحارى موحشة ، وعطشا حتى قاربا الموت . . .

لذلك يوحى كتاب الله المقدس : « يوجد من يهزر مثل طعن السيف ، ويقول ألم ألعب أنا[3] » وأيضاً « لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم . بل كل ماكان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كى يعطى نعمة للسامعين[4] » . « ولا القباحة ، ولا كلام السفاهة والهزل التى لا تليق[5] » ولقد أعطى سفر المزامير الطوبى لمن لا يجلس فى مجلس المستهزئين[6] ، أما أرميا النبى فكانت له طريقته فى تنفيذ هذه الوصية إذ قال : « لم أجلس فى محفل المازحين مبتهجاً[7] ».

---

(١) تك ١٧ : ١٨ (٢) تك ٢١ : ٩ ، ١٠ (٣) أم ١٢ : ١٨ (٤) مز ١٠٤ : ١٥
(٥) اف ٥: ٤ (٦) مز ١ : ٢ (٧) أر ١٥ : ١٧

مقارنة بين اللقائين :

يصف الكتاب المقدس لقائين بين الله وهاجر فى البرية . . . الأول ، وهى حُبلى فى إسماعيل وهاربة من وجه مولاتها التى أذلتها . . .

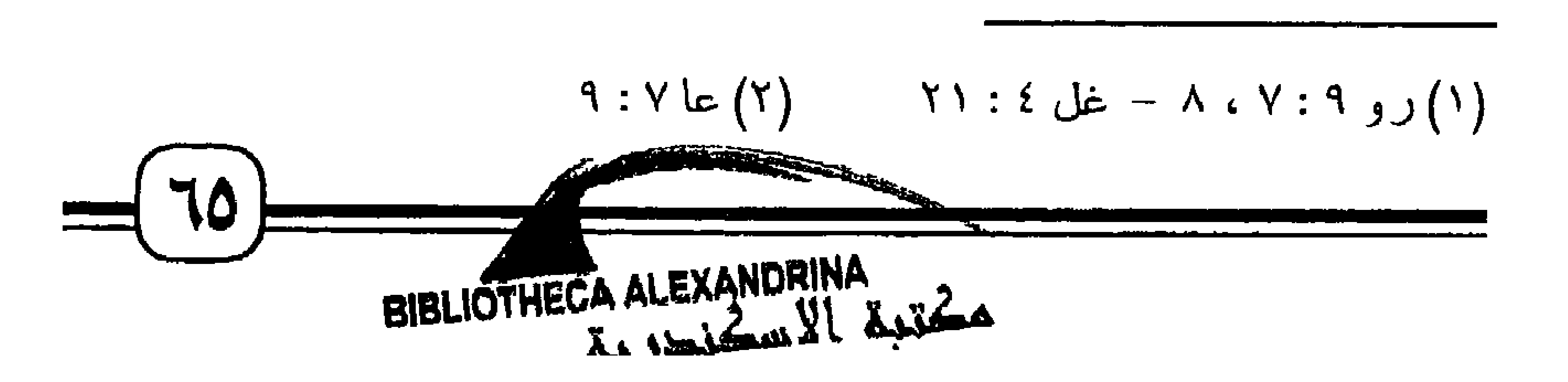
(تكوين ١٦) والثانى بعد أربع عشرة سنة وهى تحتضر هى وإبنها من العطش فى البرية (تكوين ٢١) :

- الأول قابلها ملاك الله بصورة مجسمة ، وفى الثانية ناداها ملاك الله من السماء . لأن غاية المقابلة الأولى هى أن تعود إلى إبراهيم أما فى الثانية فكان لإنقاذها هى وإبنها من الموت . . . والعودة تتطلب إعتراض الطريق أما الإنقاذ فهو من السماء .

لذلك يقول لها أيضاً فى المرة الأولى : يا هاجر جارية سارة أما فى المرة الثانية فقال لها مالك يا هاجر ؟ لأن القصد الإلهى هو أن لا تعود جارية لسارة ، بل تقود حياتها المستقلة فى حفظ وعناية الله . « ليس لإنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد . بل بإسحق يدعى لك نسل . أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله ، بل أولاد الموعد يُحسبون نسلاً[1] » بل إسحق نفسه لو تصرف جسدانياً سيحرُم من المواعيد !! كما قال عاموس النبى : « لاأعود أصفح له بعد . فتقفر مرتفعات إسحق وتخرب مقادس إسرائيل[2] » .

- فى المرة الأولى لاقاها ملاك الله عند عين الماء فى بئر سبع ولكن

(١) رو ٩ : ٧ ، ٨ - غل ٤ : ٢١ (٢) عا ٧ : ٩



فى المرة الثانية إحتاج الأمر أن « يفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء[1] » وهى على آخر رمق من العطش . . . والمياه ترمز إلي روح الله وعمله ومواهبه . . . فنحن نحتاج إلي توجيهات الله لنا ونحن فى ملء الروح نحتاج إلى صوت الله يفتح عيوننا حينما نحتضر روحياً ، لنرى مياه نعمته المتدفقة والتى كانت محجوبة عن أعيننا بسبب الكد والأعياء ودوار السراب .

- فى المرة الأولى ، أفتقد الله هاجر لأنه سمع لمذلتها وفى المرة الثانية ، لإنه سمع لصوت الغلام وهو يحتضر فمكتوب هكذا : « طرحت (هاجر) الولد (إسماعيل) تحت إحدى الأشجار . . . لأنها قالت لا أنظر موت الولد . فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت . . . ونادى ملاك الله . . . الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو[2] » لقد كان صوت الغلام المحتضر فى صلاة إستغاثة مسموعاً عند الله أكثر من بكاء الأم . ياالإحشاء رأفة إلهنا التى لا تحتمل مذلتنا ، ولا إشرافنا على الهلاك بل على الفور يفتقدنا ، مشرقاً علينا من العلاء[3] .

✞ ماأقرب الشبه بين منظر هاجر الباكية الحزينة المكتئبة على إبنها المحتضر ، الذى تركته أمامها على بعد رمية قوس ، ومنظر المسيح له المجد فى جثيمان حين إبتعد عن تلاميذه نحو رمية حجر « وجثا على ركبتيه ، وكان يصلى بأكثر لجاجة حتى نزل عرقه كقطرات دم[4]» مصلياً عن البشرية المعذبة التى دخلت فى مراحل إحتضار الموت . . .

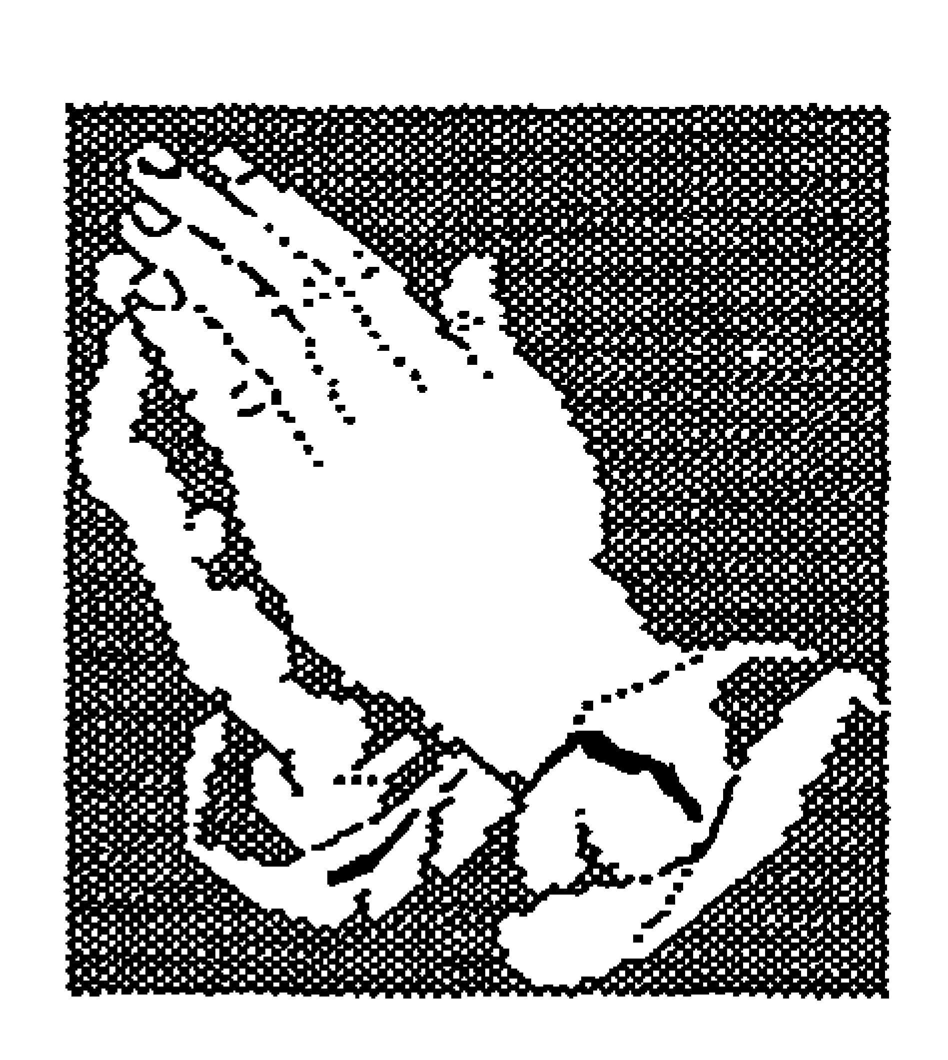
---

(١) تك ٢١ : ١٩ (٢) تك ٢١ : ١٦ (٣) لو ١ : ٧٨ (٤) لو ٢٢ : ٤١ ، ٤٢

كلاهما فجر ينبوعاً للحياة للمشرفين على الموت . فهل نستمر فى إحتضارنا وموتنا ، أم ندع الله يُفتح عيوننا لنرى نبع حياتنا من جنب المصلوب . . .

✞ أخذ إبراهيم وعداً من الله[1] ، أن يكون نسله مثل نجوم السماء فى الكثرة (أى نسل إسحق) والرمل الذى على شاطىء البحر الذى لا يُعد (أى نسل إسماعيل) فالنجوم كثيرة ، والرمل لا يُعد ، ولكن شتان بين نجم مضىء فى السماء ، وحبة رمل على شاطىء البحر .

لقد نمى إسماعيل رامى قوس[2] ، وعُرف الإسماعيليون إنهم أرباب السهام ، الذين مرروا حياة يوسف العفيف[3] . لذلك يتضرع الأبرار إلى الله لكى يحميهم ويطفىء عنهم « جميع سهام الشرير الملتهبة[4] » . كما طلب صاحب المزامير « اذا فوق سهامه فلتنب[5] » . (أى تلتوى متكسرة وتخطىء هدفها) .



---

(١) عب ١١ : ١٢ (٢) تك ٢١ : ٢٠ (٣) تك ٤٩ : ٢٣ (٤) أف ٦ : ١٦
(٥) مز ٥٨ : ٧

١٧ - وأنت بلا إمكانيات :

ماهذه فى يدك ؟ (خر ٤ : ٢)

✞ هاالرب قد رأى مذلة شعبه فى أرض مصر . . . وصمم أن يخلصهم . . . وقد شرع أن يرسل لهم موسى ، الذى كان آنذاك هارباً من بلاط فرعون ، ومتغرباً عند يثرون كاهن مديان . حيث كان يرعى غنم حميه فى نظير أن يزوجه إبنته . . . وبينما كان موسى وحيداً بعيداً فى أعماق صحراء سيناء أراه الله عليقة مشتعلة وهى لا تحترق ! ولما مال موسى لينظر الشجيرة تزداد إخضراراً ونضارة رغم إشتعال النار فيها . . . بدأ حوار التكليف الإلهى لموسى . . . وضمن هذا الحوار سأل الله موسى : ما هذه فى يدك ؟ فقال : عصا . ولهذا السؤال معان كثيرة قصد الله أن يُعلمها لموسى وللجميع .

✞ لقد أراد الله أن يؤكد لموسى إنه لم يعد يملك من حطام الدنيا سوى عصا ! ليكون فضل القوة دائماً لله لا منه . لقد إنتظر الله أربعين سنة على موسى منذ هروبه من قصر فرعون كى يصل إلى التجرد عن الذات تماماً ، وإنه أضحى لا يملك أى إمكانيات ، ليحرر بها الشعب .

- معنى أن موسى لا يملك فى يده سوى عصاه ، هو أنه فقير فقراً مدقعاً ، كما عبرّ أب الآباء يعقوب قائلاً : « بعصاى عبرت هذا الأردن ، والآن قد صرت جيشين[1] » . وهو يشكر الله . . .

---

(١) تك ٣٢ : ١٠

- لم يعد لموسى سلطانا على أحد ، فهو لا يتحكم إلا فى عصاه الممسك بها فى يده . فقد قيل عن أباء البرية ، إنهم وبخوا مار أوغديس ، لأنه رغم كونه آنذاك مُبتدأ فى السيرة الرهبانية ، كان يحكم أحكاماً فى مجالس شيوخ البرية ، فقالوا له ، نحن نعرف إنك لو كنت فى بلدك لجعلوك رئيساً ومدبراً ، ولكنك هنا فى الأسقيط لا سلطان لك إلا على عصاك . . . فتعلم مار أوغديس قائلاً : مرة تكلمت وبنعمة الله سوف لا لها ثان . . .

✞ إستخدام العصا ، دليل على نفاذ القوة الجسمية وضعف الصحة ، فلم يعد موسى هو الشاب القوى المحارب ، كما كان فى بلاط فرعون .

لقد تحولت عصا موسى بسرعة إلى (عصا الله) ففى نفس الإصحاح مكتوب هكذا : « فأخذ موسى إمرأته وبنيه . وأركبهم على الحمير ، ورجع إلى مصر ، وأخذ موسى عصا الله فى يده[١] » . وأيضاً عندما حارب يشوع عماليق وقف موسى على التلة ، وعصا الله فى يده[٢] » .

✞ فى البداية طلب الله من موسى أن يلقى بعصاه إلى الأرض [مرة أمام نفسه ، ومرة ثانية أمام بنى إسرائيل ، ومرة ثالثة أمام فرعون] فالله يطلب التخلى حتى عن هذا القليل الذى يمكن الإعتماد عليه أمام الذات وأمام المخدومين وأمام الأعداء . . . فصارت العصا حية [وهى رمز الحكمة . . . كونوا حكماء كالحيات[٣]] فحكمة القائد هى الإعتماد

---

(١) خر ٤ : ٢٠ (٢) خر ١٧ : ٩ (٣) متى ١٠ : ١٦

على الله بكل قلبه ، وعلى فهمه لا يعتمد[1] . وعندما ألقى موسى عصاه إلى الأرض ، تحول عقل موسى إلى الحكمة ، وتحولت العصا إلى عصا الله التى تصنع المعجزات ، فيها شق موسى البحر الأحمر[2]. وبها أعاد الماء[3] ، وبها نضحت الصخرة الصماء ماءً غزيراً[4] . . .

✞ أما عصا هرون الكهنوتية ، التى أفرخت فروخاً وأزهرت زهراً وأنضجت لوزاً[5] ، فهى التى تم بها الضربات العشر ، وصارت رمزاً للرئاسة الكهنوتية . كذلك عصا هرون التى أفرخت هى رمز للرب يسوع المقام من بين الأموات ، ليأت بثمر كثير .

✞ أيضاً عكاز أليشع النبى ، كان سيقيم إبن الشونمية من الموت ، ولكن لأن هذا العكاز وقع في يد جحزى المحب للمال ، لم يكن صوت ولا مُصغ[6] . فالقوة ليست تعويذة فى العكاز . . . بل فى إيمان رجل الله الذى يحمل العكاز ، والوعد الذى نطق به الله .

✞ كشف الرسول بولس سر الصخرة التى تبعت بنى إسرائيل فى البرية « لإنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح[7] » كان يكفى لموسى وهرون أن يكلما الصخرة التى ترمز إلى المسيح ليخرج منها ماءً غريزاً . ولكن موسى أخذ العصى من أمام الرب وضرب الصخرة مرتين ، وهكذا حُرما (موسى وهرون) من الدخول إلى أرض الموعد لأن المسيح تألم مرة واحدة[8] ، وإرتوى شعبه من روحه القدوس[9] .

---

(١) أم ٣ : ٥ (٢) خر ١٤ : ١٦ (٣) خر ١٤ : ٢٦ (٤) خر ١٧ : ٥
(٥) عدد ١٧ : ٨ (٦) ٢مل ٤ : ٣١ (٧) ١كو ١٠ : ٤ (٨) عب ٩ : ١١ (٩) يو ٧ : ٣٩

١٨ - لا تعتذر عن العمل الإلهى :

من صنع للإنسان فما ؟ أو من يصنع

أخرس أو أصم أو بصيراً أو أعمى ؟ أما هو أنا الرب ؟

(خر ٤ : ١١)

« إنى لقد رأيت مشقة شعبى الذين فى مصر وسمعت أنينهم ، ونزلت لأنقذهم . فهلم الآن أرسلك إلى مصر[١] » وسمع موسى النبى هذا الصوت الإلهى ، وهو فى سيناء . صوت مباشر من فم الله لأذن موسى . . . ولكن موسى حاول أن يعتذر عن هذه المهمة بكافة الأعذار !

١ - حاول موسى أن يعتذر بحجة أن الشعب لا يصدقونه على إنه مرسل من الله لإنقاذهم من عبودية فرعون . . . « هاهم لا يصدقوننى ولا يسمعون لقولى ، بل يقولون لم يظهر لك الرب[٢] » . . .

إنها مشكلة كل مرسل حقيقى من قبل الله . . . نوح ولوط ، ويونان ، وعاموس ، وأشعياء ، وأرميا بل وربنا يسوع المسيح نفسه الذى تنبأ أشعياء النبى عنه : « من صدق خبرنا ، ولمن أستعلنت ذراع الرب[٣] » وهذا قد تحقق : « ومع إنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها ، لم يؤمنوا[٤] » .

٢ - وإعتذر موسى أيضاً من أجل ضعف إمكانياته هو وشعبه أمام

---

(١) أع ٧ : ٣٤ (٢) خر ٤ : ١ (٣) أش ٥٣ : ١ (٤) يو ١٢ : ٣٧

إمكانيات فرعون وفرسانه ومراكبه الثلاثية ، وقسوته وجبروته . . .

وهكذا كما كان لموسى فرعون يقاومه ، هكذا فى كل الأجيال ، هناك قايين لهابيل ، وإسماعيل لإسحق وعيسو ليعقوب ، وشاول لداود . . . إلخ حتى المسيح له المجد كان له قيافا رئيس الكهنة .

ولكن الودعاء في النهاية هم الذين يرثون الأرض[١] : « الرب يحفظهم ويعينهم فى زمان الشدائد لإنهم توكلوا عليه[٢] » .

٣ – إعتذار نهائى ، بأن قال للرب أرسل غيرى وإعفينى أنا « فقال(موسى) إستمع أيها السيد . أرسل بيد من ترسل[٣] » ولقد أظهر الرب إستياءه من هذه الإعتذارات : « فحمى غضب الرب على موسى[٤] » . . .

ولقد ذلل الله لموسى كل هذه العقبات التى أثارها – فالشعب سيصدق بالآيات التى سيجريها الله على يد موسى ، وفرعون سيرتعب من الضربات التى سينزلها الله عليه ، وسيرسل الله هرون أخا موسى معه ليكونا معاً ويشدد من أزره . . . ولكن موسى عاد وإعتذر بإنه .

٤ – « ثقيل الفم واللسان ، وهو ليس صاحب كلام[٥] » وهو إعتذار لعجز شخصى فى حواس موسى ولقد كان موسى آنذاك إبن ثمانين سنة ، ومن الطبيعى أن حواس الإنسان تضعف فى مثل هذا السن . . . لذلك سؤال الله له ، هو سؤال للإطمئنان أن الله قادر أن يعيد لحواس

---

(١) مت ٥ : ٥ (٢) مز ٣٧ : ٣٩ ، ٤٠ (٣) خر ٤ : ١٣
(٤) خر ٤ : ١٤٠ (٥) خر ٤ : ١٠

موسى التى ضعفت قوتها وحيويتها ، طالما قد دخل فى خُطة العمل الإلهى « من صنع للإنسان فماً ، أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيراً أو أعمى ؟ أما هو أنا الرب ؟ . . . وإننى أعتقد إن موسى قد شفيت كل حواسه تماما على الفور ، بمجرد قول الرب ، كما شفىً موسى أيضاً من صغر النفس ، وإمتلأ إيماناً بالله . . . لأن تساؤل الله ، لابد وأن يصاحبه فعل وعمل على مستوى الواقع . . .

لقد إنفكت على الفور عقدة لسان موسى ، وصار يتكلم بطلاقة . لأن الآنية التى يستخدمها الله لابد وأن تكون سليمة من جميع الوجوه ، بل وتزداد بهاءً ورواءً مع إستخدام الله لها ، وهذا ماإختبره موسى وهو إبن مئة وعشرين سنة حين مات ، « ولم تكل عينه ، ولا ذهبت نضارته[١] » « لإنه قال فكان . هو أمر فصار[٢] ».

ونفس هذا الأمر ينطبق على كالب بن يفنه ، الذى تبع الرب الإله تماماً وبذلك دامت له صحة الشباب وحيويته حتى سن الخامس والثمانين : « والآن فها أنا اليوم إبن خمس وثمانين سنة ، فلم أزل اليوم متشدداً كما فى يوم أرسلنى موسى . كما كانت قوتى حينئذ ، هكذا قوتى الآن للحرب ، وللخروج والدخول[٣] » .

وهكذا نرى أن تقوى الله تعيد لجسد الإنسان صحته وعافيته كاملة . . . لأن الشركة مع الله تجعل حتى جسد الإنسان يشتد ويزهو ويتقوى .

فنحن نقرأ فى سير بعض الشهداء ، إن جراح أجسادهم وكل آثار

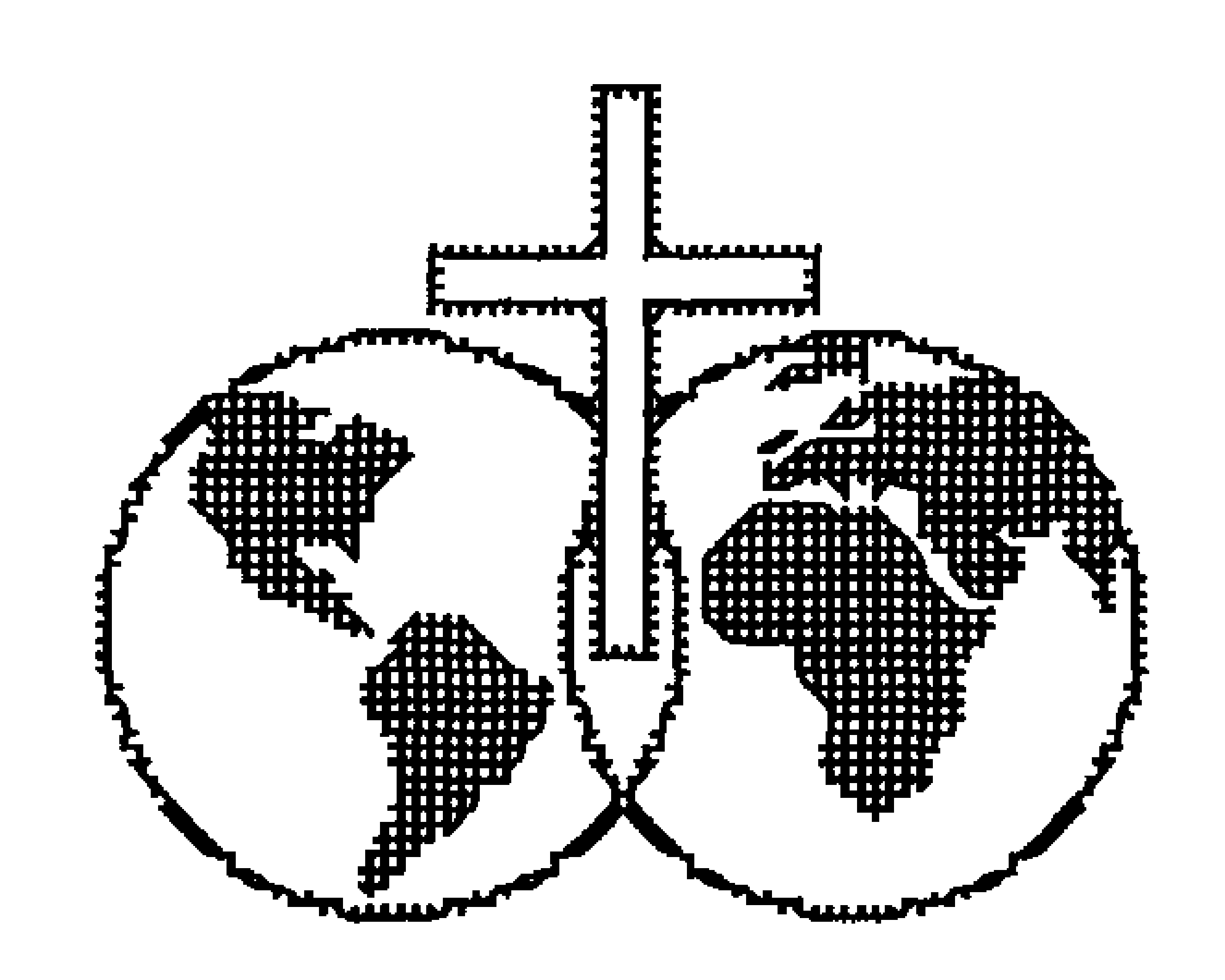
---

(١) تث ٣٤ : ٧ (٢) مز ٣٣ : ٩ (٣) يش ١٤ : ١١

التعذيب تختفى على الفور بمجرد زيارة المسيح لهم ليعزيهم ، فكان المعذبون يعتبرونها نوعاً من السحر .

مكتوب عن المسيح له المجد : « فى تلك الساعة شفى كثيرين . ووهب البصر لعميان كثيرين[1] . . . » « العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون وطوبى لمن لا يعثر فىَّ[2] » أليس ماقام به المسيح من معجزات مع تساؤل الله لموسى ، يبرهن بالقطع على أن يسوع المسيح هو الرب الإله ؟ فهل نعثر فيه بعد ؟

صلاة خاصة نرفعها إليك يا ربنا يسوع المسيح أن تعود وتنظر مشقة شعبك الذين فى مصر وتسمع أنينهم وتنزل لتنقذهم . . . أما جاء زمان الرأفة ، أما جاء الميعاد[3] .



---

(١) مت ١١ : ٦ (٢) لو ٧ : ٣٥ (٣) مز ١٠٢ : ١٣

١٩ - ضرورة الكهنوت فى الكنيسة :

أليس هارون اللاوى أخاك ؟

(خر ٤ : ١٤)

قبل دعوة الله لموسى بأربعين سنة ، حاول موسى من تلقاء ذاته أن يحرر شعبه من العبودية بالثورة والعنف . . . فقد كان آنذاك شاباً قوى البنية ، مفتول العضلات ، قد تدرب فى قصر فرعون على أساليب الحرب ، « وكان مقتدراً فى الأقوال والأعمال « وتهذب موسى بكل حكمة المصريين[١] » فقتل مصرياً كان يتعارك مع عبرانى ، ثم حاول إلقاء صلحاً بين إثنين من بنى جنسه . . . ولكنه وجد نفسه فى وضع لا يُحسد عليه ، فشعبه نبذه ولم يفهمه ، وفرعون حينما سمع طلب أن يقتله . . . وهكذا هرب إلى سيناء .

وإنتظر الرب أربعين سنة حتى يسمع من موسى « أنا لست صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس[٢] » . . . الآن يا موسى أنت تصلح لأن أرسلك ، بعد أن تخلصت من عنتزية القوة البشرية الخائبة « ليكون فضل القوة لله[٣] . . .» وأيضاً ، حتى يأتى « ملء الزمان[٤] ».

ولقد شجع الله موسى ك « أليس هارون اللاوى أخاك ؟ هاهو خارج لإستقبالك ، فحينما يراك يفرح بقلبه[٥] » لأن « إثنان خير من واحد . . . والخيط المثلوث لا ينقطع سريعاً[٦] » « وقال الرب لهارون إذهب إلي البرية لإستقبال موسى . فذهب وإلتقاه فى جبل الله وقبله[٧] » « هوذا

---

(١) أع ٧ : ٢٢ (٢) خر ٤ : ١٠ (٣) ٢كو ٤ : ٧ (٤) غل ٤ : ٤
(٥) خر ٤ : ١٤ (٦) جا ٤ : ٩ ، ١٢ (٧) خر ٤ : ٢٧

ماأحسن وماأجمل أن يسكن الأخوة معاً . مثل الدهن الطيب على الرأس النازل على اللحية ، لحية هارون النازل إلى طرف ثيابه[1] ».

✞ لا يذكر إسم هارون ، إلا ويذكرنا بالكهنوت العبرانى . . . والكاهن هو الذى يقف أمام الشعب من أجل الأمور المختصة بالله ، كما إنه يمثل فى الحضرة الإلهية أمام الله من أجل الشعب :

أولاً : الكاهن يبارك الشعب بإسم الرب - « هكذا تباركون . . . يباركك الرب ويحرسك . يضىء الرب بوجهه عليك ويرحمك ، يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً . . . وأنا أباركهم[2] » .

ثانياً : الكاهن يرفع القرابيين والذبائح بأنواعها المختلفة - ذبيحة الخطيئة ، الإثم ، الكفارة ، السلامة ، الشكر ، السرور . . . إلخ تلك الذبائح التى كانت ترمز إلى الجوانب العديدة لذبيحة صلب المسيح . « لأن كل رئيس كهنة يُقام لكى يُقدم قرابيين وذبائح[3] » .

ثالثاً : الكاهن يشفع لرفع الكوارث عن الشعب : فحينما إنتشر الوباء فى وسط جماعة بنى إسرائيل ، أخذ هارون المجمرة ، وجعل فيها ناراً من على المذبح ، ووضع بخوراً بين الموتى والأحياء ، وكفّر عن الشعب ، فإمتنع الوباء[4] .

رابعاً : الكاهن هو أيضاً الذى يُعَلّمْ الشعب شريعة الله . « لأن شفتى

(١) مز ١٣٣ : ١ ، ٢ (٢) عدد ٦ : ٢٢ - ٢٧ (٣) عب ٨ : ٣
(٤) عدد ١٦ : ٤١ - ٥٠

الكاهن تحفظان معرفة ، ومن فمه يطلبون الشريعة ، لإنه رسول رب الجنود[1] » .

خامساً : الكاهن واسطة يجعل الشعب يرى مجد الله ! « ثم رفع هارون يده نحو الشعب وباركهم . . . ودخل موسى وهارون إلى خيمة الإجتماع ، ثم خرجا وباركا الشعب ، فتراءى مجد الرب لكل الشعب . . . فرأى جميع الشعب وهتفوا وسقطوا على وجوههم[2] » .

هذه أهم وظائف الكهنوت ، سواء الكهنوت اللاوى الرمزى ، أم كهنوت العهد الجديد المستمد من كهنوت السيد المسيح الحقيقى . . .

✞ إستنكر مارتن لوثر ، ووراءه كل الجماعات البروتستانتية وجود فئة مخصصة للخدمة الكهنوتية فى كنيسة العهد الجديد ! منادياً بكهنوت جميع المؤمنين ، ولقد طوع فى معانى آيات معينة لتناسب أفكاره الجديدة مثل « جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه[3] » وأيضاً « كونوا أنتم أيضاً . . . كهنوتا مقدساً ، لتقديم ذبائح روحية . . . وأما أنتم فجنس مختار ، وكهنوت ملوكى . أمة مقدسة شعب إقتناء[4] . . .»

ولكن نلاحظ إنه فى زمان موسى أيضاً ، قال الرب نفس التعبيرات عن كهنوت هارون ، إذ خاطب كل الشعب وليس هارون وبنيه فقط قائلاً : « تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة[5] » ولم يفسر أحد هذا القول بأنه لا داعى لكهنوت متميز لهارون وبنيه . . . بل والذين فكروا

---

(١) ملا ٢ : ٧ (٢) لا ٩ : ٢٢ - ٢٤ (٣) رؤ ١ : ٦ ، ٥ : ١٠

(٤) ١بط ٢ : ٥ ، ٩ (٥) خر ١٩ : ٦

وقالوا بمثل هذا ، إنشقت الأرض تحتهم وإبتلعتهم[1] . . .

أو ليست الجماعات البروتستانتية نفسها ، يقودها أشخاص مخصصون ومكرسون ودارسون . . .

على أية حال ، هذا الموضوع قد قتله اللاهوتيون بحثاً ، وعلينا أن نعود الآن لنبين سمو كهنوت العهد الجديد المستمد من كهنوت المسيح ، عن الكهنوت اللاوى ، كما جاء فى الرسالة إلى العبرانيين :

(١) المسيح رئيس كهنة أعظم[2].

(٢) مختار من الله[3] .

(٣) شارك البشر فى صورة اللحم والدم ، كما كان رئيس الكهنة مأخوذاً من الناس ، ولأجل الناس فيما لله[4] .

(٤) رئيس كهنة قدوس بلا شر ولا دنس ، قد إنفصل عن الخطاة وصار أعلا من السموات[5] .

(٥) مقام من الله إلى الأبد[6] .

(٦) قدم نفسه ذبيحة[7] .

(٧) خادم للأقداس الحقيقية[8] .

(٨) المسيح جاء وسيطاً لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل[9] .

---

(١) عدد ١٦ (٢) عب ٤ : ١٤ (٣) عب ٥ : ٤ (٤) عب ٢ : ١٤ ، ٥ : ١
(٥) عب ٧ : ٢٦ (٦) عب ٧ : ٢٨ (٧) عب ٧ : ٢٧ (٨) عب ٨ : ٢
(٩) عب ٨ : ٦

٢٠ - صلاة الصراخ :

مالك تصرخ إليّ ؟ (خر ١٤ : ١٥)

ربما لم يقابل موسى النبى موقفاً صعباً فى حياته أصعب من هذا الموقف ! إنه يذكرنى بزلزال أكتوبر سنة ١٩٩٢ الذى حدث فى مصر فكل من شعر بالزلزال ، لا سيما سكان الأدوار العالية ، أحسوا إن البيت الذى يسكنونه سرعان ماسينهار فوق رؤوسهم وهم سيموتون تحت الأنقاض . كثيرون حكوا عن تلك الدقائق العصيبة ، حيث لم يجدوا أمامهم سوى الصراخ لله . . . يارب إرحم وقلوبهم تدق بسرعة من الخوف وهم يتضرعون بلهفة لكى يتدخل الله ويهدىء الأرض المهتزة ، ويوقف هذا الزلزال المدمر . . .

إنها نفس تلك الصلاة التى كانت بالصراخ من الأعماق ، التى رفعها موسى إلي الله . لقد خرجوا من مصر ، ولكنهم خرجوا إلى المجهول . وبعد مسيرة ثلاثة أيام ، وقد إستغلق عليهم القفر ، راحت نشوة التحرر من فرعون ، ليلح السؤال – إلى أين ؟ المؤن تكاد تنفذ ، فمن أين سيحصلون على القوت اليومى ولا يوجد أمامهم إلا القفر الخالى إلا من صخور ورمال ؟ . . . ومن أين سيحصلون على الماء العذب بعدما بعدوا جداً عن شواطىء النيل ؟ وبينما هم فى كل هذا القلق ، أو قل الفزع الداخلى ، وكانوا قد وصلوا إلى شاطىء خليج السويس ، أمام مياه البحر الأحمر ، وقبل غروب الشمس ، لاحظوا خيولا وفرسانا ومركبات فرعون آتية من على بعد . . . بقيادة فرعون ، وكل

جنوده معه . . . ترى أى إنتقام سيفتك بهم فرعون بعد الضربات العشر وبعد موت إبنه البكر منذ ثلاثة أيام . . . وكانوا هم السبب !

وإن فروا ، إلى أين ؟ البحر أمامهم والعدو خلفهم .

لقد تنازع في قلب موسى مشاعر الهلع . . . ترى لو جاء فرعون وأهلك الشعب ، أليس هو المسئول عن كل هذا ؟ومع مشاعر الهلع ، هناك مشاعر الإيمان فى الله الذى أرسله وسانده وعمل عظائم فى وسط أرض مصر وحتى الآن إستطاع موسى أن يُغلب مشاعر الإيمان داخله ، فابتدأ يبث مشاعر الإيمان فى وسط الشعب اليائس ويشجعهم . . حيث ثاروا فى وجهه قائلين له : « هل لأنه ليس قبور فى مصر ، أخذتنا لنموت في البرية . . ماذا صنعت بنا[1] » فقال موسى للشعب : « لا تخافوا ، قفوا ، وأنظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم . فإنه كما رأيتم المصريين اليوم ، لا تعودون ترونهم أيضاً إلى الأبد ، الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون[2] » لقد فزع بنو إسرائيل جداً ، وصرخوا إلى الرب[3] ، بصوت عال أما موسى فكان يصرخ إلى الله هو أيضاً ولكن فى أعماقه صامتاً بدون صوت . . واستمع الرب لصراخ موسى المكتوم كان صراخ موسى هو :

صراخ الإستغاثة من هجوم الأعداء .

وصراخ ألم من تذمرات الشعب .

وصراخ إيمان ليحقق الله وعوده لشعبه .

---

(١) خر ١٤ : ١١ (٢) خر ١٤ : ١٣ ، ١٠ (٣) خر ١٤ : ١٠

« من الأعماق صرخت إليك يارب ، يارب إستمع صوتى[1] » .

« صرخت اليك من كل قلبى ، أستجب لى يارب[2] » ولقد إستمع الله لصوت صراخ موسى ، وبحسب وعد الله . « أفلاً ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً ؟ نعم أقول لكم إنه ينصفهم سريعاً[3] » فلقد إستجاب الله على الفور . . .

١ – لقد نجى الشعب بمعجزة ، إذ فتح الله طريقاً يعبرون فيه .

٢ – ولقد غرّق فرعون وكل قواته ، حينما غطتهم الأمواج ، ولقد أبصر العبرانييون جثث الغرقى ، يطرحها البحر أمام عيونهم . .

٣ – ولقد تحولت تذمرات الشعب إلى تسبيح لله . . تلك التسبحة التى ترسخت كطقس يومى فى الكنيسة[4] .

٤ – آمن الشعب بالرب ، وبعبده موسى[5] .

كل هذا ، هو ثمرات صلاة الصراخ .

هل تريد أن تعرف ما هى الصلاة التى لا بد أن يستجيب لها الله . . . إنها صلوات الصراخ من الأعماق ، سواءً بصوت أو بدون صوت مسموع . . .

لقد صرخ يعقوب مصلياً إلى درجة الصراع مع الله ، لطلب

---

(١) مز ١٣٠ : ١ (٢) مز ١١٩ : ١٠ (٣) لو ١٨ : ٧
(٤) الهوس الأول (٥) خر ١٤ : ٣١

المعونة ، ليُنقذ من شر لابان خاله ، وعيسو أخيه ، وقد أنقذه الرب فعلاً من كل هؤلاء[1] .

وصرخ داود مراراً كثيرة ، وهو هابط فى الجب الأسفل وغائص فى طين الحمأه ، وقد أرتفع أعداءه عليه ، فوجد الله يقيمه ويرفعه وينشله ليضعه على المرتفعات ويعطيه أقفيه أعداءه ، حتى أفناهم جميعاً[2] وصرخ سليمان مصلياً إلى الله وطالباً الحكمة ، فاعطيت له[3] .

وصرخت حنة العاقر مصلية إلى الله لأجل تعيير ضرتها ومراغمتها لها ، فأعطيت إبناً مباركاً هو صموئيل ، وزالت مرارة نفسها[4] .

وصرخ أرميا النبى وهو فى الجب الأسفل ، فأنتشل من هناك[5] .

وصرخ اللص اليمين إلى يسوع المصلوب « إذكرنى يارب إذا جئت فى ملكوتك ، فانتقلت نفسه من الجحيم إلى الفردوس[6] وصرخ سجان فيلبى طالباً الخلاص ، فناله هو وكل أهل بيتة[7] وعلى رأس الكل ، قدم الرب يسوع « بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات[8] » « وإذ كان فى جهاد ، كان يصلى بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض[9] » فأتى بالفداء والخلاص والكفارة للعالم كله ، وكل من يؤمن من الجنس البشرى . . .

---

(١) ١مل ٣ (٢) مز ١٨ (٣) ١مل ٣ : ٧ - ٩ (٤) ١صم ١ : ١٠
(٥) مراثى ٢ : ١٨ (٦) لو ٢٢ : ٤٣ ، ٤٤ (٧) أع ١٦ : ٢٠ (٨) عب ٥ : ٧
(٩) لو ٢٢ : ٤٣ ، ٤٤

٢١- لأنه أيضاً لا يستطيع

إلى متى تأبون أن تحفظوا وصاياى وشرائعى ؟

(خر ١٦ : ٢٨)

وبطريقة معجزية ، عال الله شعبه فى صحراء سينا ء . . إذ كانوا يخرجون من خيامهم كل صباح ، وقبل طلوع الشمس ، فيجدون المن (وهو كمثل الرقاق بالعسل ، على شكل بذور الكزبرة) ويجمع كل فرد منهم كفايته ، وكان يغذيهم كأفضل ما يكون الغذاء !! وقد اوصاهم الله أن يجمعوا ما يكفى ليومين قبل يوم السبت ، كى يحفظوا شريعة الراحة يوم السبت . ولكن . . « حدث فى اليوم السابع أن بعض الشعب خرجوا ليلتقطوا المن ، فلم يجدوا[١] . . وهنا يتسائل الله : إلى متى تأبون أن تحفظوا وصاياى وشرائعى ؟

لقد خرج بعض الشعب ليلتقطوا المن يوم السبت زيادة فى الحرص على مطالب الجسد . والواقع أن « إهتمام الجسد هو عداوة لله ، أذ ليس هو خاضعاً لناموس الله ، لأنه أيضاً لا يستطيع . فالذين هم فى الجسد ، لا يستطيعون أن يرضوا الله[٢] .

- لقد أوصى الله شعبه أن يكون لهم يوم راحة إسبوعياً Sabath - أى راحة . . يستريحون فيه من كل أعمالهم . . ولكن الإنسان ، لعوامل القلق على لقمة العيش ، والطمع فى الدنيا ، الناتجان عن عدم الإيمان بالله الذى يعول الكل ، وهو الذى أوصى بالراحة يوم السبت ،

---

(١) خر ١٦ : ١٧ (٢) رو ٨ : ٧ ، ٨

والإنسان دائماً ما يميل إلى كسر وصية الراحة هذه ! ! فبدلاً من أن يريح نفسه ، يتعب ويكد ، ويكدح ويشقى حتى يوم راحته ! فالله يوصى الإنسان أن يستريح ، والإنسان لا يريد أن يريح ذاته ! وهذا يدل على :

أولاً – أن إهتمام الإنسان بحاجاته الجسدية أهم عنده من الإهتمام بتنفيذ الوصية الإلهية .

ثانيا – عند الإنسان الجسدانى ميل طبيعى لمقاومة وصايا الله .

ثالثاً – تدابير الإنسان الفطرية ، تعذبه وتشقيه فالإنسان لو تُرك لذاته ، لنغص على نفسه معيشتها ، هكذا تلقائياً . . .

لقد أثيرْ جدل طويل بين القديس أوغسطينوس أسقف هيبو ، وراهبا بريطانيا يدعى بيلا جيوس ، حول كمال الإنسان فى البر . فقد قال بيلاجيوس إن الإنسان لا يحتاج إلا إلى قوة إرادة وعزيمة ، يستطيع بهما أن ينفذ وصايا الله ، وبذلك يصل إلى درجة الكمال . . . أما القديس أوغسطينوس فكان ذا فهم أعمق بالكتب المقدسة فكان ينادى بأن الإنسان محتاج إلى نعمة المسيح ، لتزيل الفساد والخطيئة الأصلية من طبيعته الفطرية . وبهذه النعمة أيضاً ، يستطيع أن يُنفذ كل وصايا الله ، وبذلك يكمل فى البر . . .

وأنتهى الجدل بانعقاد مجامع كنسية ، مكانية ومسكونية أعتبرت آراء بيلاجيوس بدعه ، فحرمتها ، وثبتت رأى القديس أوغسطينوس كعقيدة فى الكنيسة .

لقد أعطيت الوصية الإلهية للإنسان كي يجاهد فى تنفيذها ، ويبذل أقصى ما عنده من إمكانيات ليحققها فى واقع حياته ، أو كما يقول معلمنا بولس : يتأدب بها[1] . . ولكن الإنسان وهو يحاول تنفيذ وصية الله يصتطدم بطبيعته الفاسدة ، فهو يرى فى أعضائه قوة تمرد هائله على وصايا الله ، وكلما حاول تجاهلها فرضت وجودها بشراسة . . إنه يؤمن فى أعماقه بأن وصية الله هى سر سعادته فى الحياة الحاضرة والأبدية ، ولكنه لا يستطيع تنفيذها عملياً ! فماذا يفعل ؟

الرسول بولس يشرح إختياره لهذا الموقف : « فإنى أسر بناموس (وصايا) الله بحسب الإنسان الباطن ، ولكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ، ويسبينى إلى ناموس الخطئية الكائن فى أعضائى . ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت[2] » ولقد وجد الرسول بولس ذاك الذى سينقذه من جسد هذا الموت وشكر الله : « أشكر الله . . . بنعمة يسوع المسيح ربنا[3] » فنعمة يسوع المسيح ربنا هى التى تنقذنا من الخطئية الأصلية وقوة التمرد الهائلة التى فى أعضاء جسدنا ، وعندما نأخذ هذه النعمة ، نستطيع أن ننفذ وصايا الله بسهولة وفرح وسلاسة . فالله « أغلق على الكل تحت الخطئية ليعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون[4] ».

✞ بعدما سمع بنو إسرائيل وصايا الله العشر ، بصوت الله مباشرة عند جبل سيناء ، ووسط رعود وبروق وزلزلة ودخان وأبواق سرعان ماصنعوا عجلاً من ذهب وعبدوه كاسرين أول وصيتين !

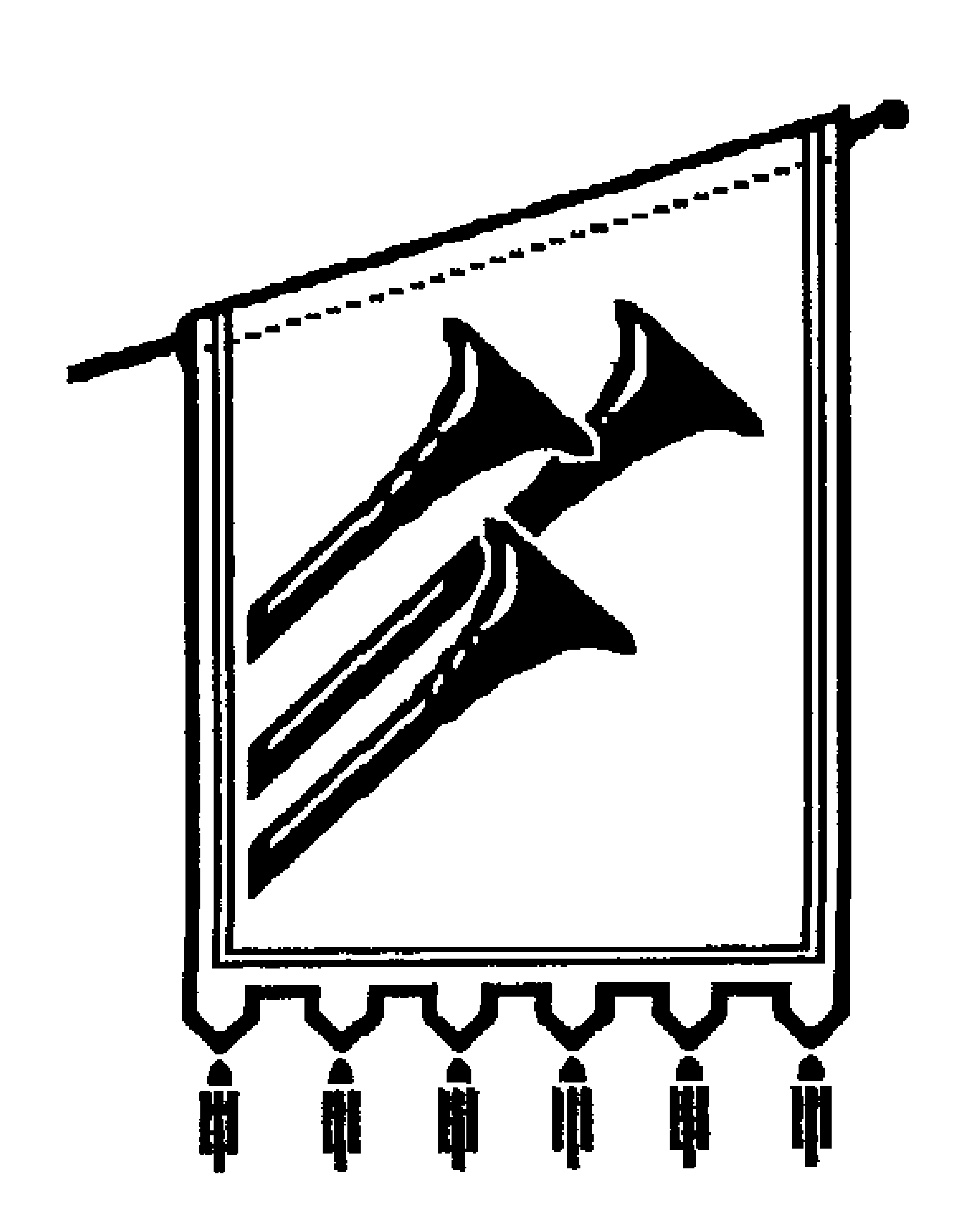
---

(١) غل ٣ : ٢٤　　(٢) رو ٧ : ٢٢ – ٢٤　　(٣) رو ٧ : ٢٥
(٤) غل ٣ : ٣٢

والكتاب المقدس يذكر خطايا صعبة لملوك وأنبياء وكهنة ورؤساء آباء وروح الله يريد أن يعلمنا إنه لا عصمة من الخطأ فى الطبيعة البشرية ، وإننا لا يمكن أن نتحرر من الخطيئة إلا عن طريق ذاك الذى قال : « أن حرركم الإبن فبالحقيقة تكونون أحرار[1] ».

فهل مازلنا نكابر معتمدين على إرادتنا الفولاذية ، أم نأتى إلى المسيح فى إنكسار معترفين بضعفنا ، وملتمسين نعمته ؟

من المؤسف أن هناك الكثيرون من المسيحيين الغيورين جداً مازالوا متمسكين ببدعة بيلاجيوس فى جهادهم الروحى دون أن يدروا . . . فيختبروا هزائم متوالية من خطاياهم ! لإنهم دائماً يسألون : ماذا أنا أفعل لأتخلص من خطاياى ؟ بدلاً من أن يسألوا : كيف أنال نعمة المسيح كى أتخلص من خطاياى ؟



(١) يو ٨ : ٣٦

٢٢ - شهوة البطن وشهوة الحنجرة :

هل تقصر يد الرب ؟

(عدد ١١ : ٢٣)

يُقَسمْ الأباء النساك الحاذقون فى العبادة شهوة الأكل عند الإنسان إلى شهوتين متميزتين :

١ - شهوة البطن ، وهى حب تناول كميات كبيرة من الطعام لملء البطن .

٢ - شهوة الحنجرة ، وهى حب التلذذ بمذاقات الأطعمة وتصنيفها وطهيها .

كلاهما من إهتمامات الجسد التى هى عداوة لله ، وفى النهاية ، جميعها للفناء والإبادة والموت . . .

☩ لقد كان المن النازل من السماء لإطعام الشعب فى البرية ، غذاءً إلهياً كاملاً متكاملاً ، ولم يكن على الشخص إلا أن يخرج قبل شروق الشمس ، ليجمع من المن حاجته ليومه . . . ومن يتقوت به لا يعوزه شىء ، فهو طعام مُشبع ، ويعطى ملء الصحة والحيوية : « فالذى جمع كثيراً لم يفضل ، والذى جمع قليلاً لم ينقص[(١)] » « أرسل عليهم زاداً للشبع ، أكل الإنسان خبز الملائكة ، أمطر عليهم مناً للأكل وبر السماء - أعطاهم[(٢)] » « أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا[(٣)] » ولكن بدلاً من مشاعر

(١) ٢كو ٨ : ١٥ ، خر ١٦ : ١٨ (٢) مز ٧٨ : ٢٤ ، ٢٥

(٣) يو ٦ : ٣١

الإمتنان نحو الله والإنصراف إلى تسبيحه [فالمن الذى يأكلونه هو خبز الملائكة ، نازل من السماء ، رمز للمسيح[1] له المجد حيث قال « أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماءً] تحركت فيهم شهوة الحنجرة « وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين – لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت فى البرية . لأنه لاخبز ولا ماء . وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف[2]» « واللفيف الذى فى وسطهم إشتهى شهوة . فعاد بنو إسرائيل أيضاً وبكوا وقالوا من يطعمنا لحماً . قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر ، والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم ، والآن قد يبست أنفسنا ، ليس شئ غير أن أعيينا إلى هذا المن[3]» .

واضح أن شهوة الحنجرة التى إستعرت فى الشعب جعلتهم يستخفون بكل ماهو سماوى وملائكى وروحانى . . . كما إن إستعار شهوات الجسد تجعل الإنسان يتمرد على المسيح ويضيق ذرعاً بالحياة به !

لقد إشتهوا وجبات اللحوم المتبلة ، والفواكه المرطبة . إلى درجة أنهم بكوا مستائين من حالهم . . . وأحست نفس موسى بالمرارة ، إلى درجة أنه طلب من الرب أن يقتله ، ولا يرى بلية الشعب الذى يقوده . فالقائد المخلص لا يحتمل أن يرى شعبه فى بلاء ، وهو لا يكترث . . . يا لك من خادم أمين على بيت الله يا موسى : « فإن كنت تفعل بى هكذا فإقتلنى قتلاً إن وجدتُ نعمة فى عيينك ، فلا أرى بليتى[4] » هكذا صلى موسى **ولقد إستجاب الله ولكن بغضب مسكوب ، لقد أظهر قدرته على كل شئ ، حيث أنزل طيور السِمان المهاجرة بكثرة حول معسكرهم . . .**

---

(١) يو ٦ : ٥١ (٢) عدد ٢١ : ٥ (٣) عدد ١١ : ٤ – ٦
(٤) عدد ٢١ – ٥

فأكلوا بنهم وشبعوا وإمتلئوا ، وسطحوا من الطيور ليحفظوها ، وظلوا شهراً كاملاً لا يأكلون إلا لحم طيور السمان ، حتى خرجت رائحة اللحم من مناخرهم[1] وهم يتجشأون وبالفعل صارت لهم كراهة . . . ولكى يبين الله عدم رضاه من شهوتهم هذه « وإذ كان اللحم بعد بين أسنانهم ، قبل أن ينقطع ، حمى غضب الرب على الشعب ، وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً . فدعى إسم ذلك الموضوع قبروت هتأوه (أى قبور الشهوة) لإنهم هناك دفنوا القوم الذين إشتهوا[2] » ويبدو أن أكل اللحم بلا إنضباط سبب وجعاً فى الجهاز الهضمى ، كما جعل الحشرات والديدان ومعها الأوبئة تسرى وسطهم وكثيرون منهم ماتوا . . .

☩ إن يد الرب لم تقصر عن أن تحقق شهوتهم ، ولكن عليك أن تحذر أيها الإنسان الذى خرجت لتسير مع الله إلى أرض موعدك . . . أحذر من رغباتك وطلباتك التى تطلبها من الله ، فإن الله سيحققها لك كلها ، لئلا تطلب شهواتك التافهة وتجرب الله .

☩ معجزة إطعام هذا الشعب الغفير فى البرية من مائدة السلوى وصفها سفر المزامير « هل يقدر (الله) أيضاً أن . . . يهئ لحماً لشعبه ؟ لذلك سمع الرب فغضب . . . أهاج شرقية فى السماء ، وساق بقوته جنوبية ، وأمطر عليهم لحماً مثل التراب وكرمل البحر طيور ذوات أجنحة ، وأسقطها فى وسط محلتهم حوالى مساكنهم . فأكلوا وشبعوا جداً ، وأتاهم بشهوتهم[3] ».

---

(١) عدد ١١ : ٢٠ (٢) عدد ١١ : ٣٣ ، ٣٤ (٣) مز ٧٨ : ٢٧ - ٢٩

فـهذه المعـجـزة تدل دلالة قاطعـة على تحكم اللـه فى مسـارات الرياح وغرائز هجرة الطيور ، لتحقيق مقاصده .

- ✞ ولنتأمل الآن فى يد الله العالية ومجالاتها :

« هـاأن يـد الـرب لم تقصـر عـن أن تُخلص ، ولم تثـقـل أُذنه عـن السمع ، بل أثامكم صارت فـاصلة بينكم وبين إلهكم . وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع[1] » .

يد الله العالية :

إنها يد بركة . « تفتح يدك فتُشبع كل حى رضى[2] » .

إنها يد قوية . « لك ذراع القدرة . قوية يدك . مرتفعة يمينك[3] » .

إنها يد تأديب . « لأن يدك ثقلت علىَّ نهاراً وليلاً[4] » .

وأخيـراً هى يد طهـارة وتطهيـر . « تـراءفـوا تراءفـوا أنتـم علىَّ يا أصحابى لأن يد الرب قد مستنى[5] » .



---

(١) أش ٥٩ : ١ (٢) ١٠٤ : ٢٨ (٣) مز ٨٩ : ١٣

(٤) مز ٣٢ : ٤ (٥) أى ١٩ : ٢١

٢٣ - العسل المسموم :

فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدى موسى ؟

(عدد ١٢ : ٨)

لقد تعرض موسى النبى للنميمة . . . ورذيلة النميمة تكون كما جاء فى سفر الأمثال كالعسل فى الفم، ولكنها سموم تنزل إلى مخادع البطن[١] .

✞ كان موسى أميناً فى بيت الله كخادم . . . أما المسيح فكإبن على بيته[٢] . . . الله لم يحتمل كلمة نميمة قيلت على موسى من هارون ومريم إخوته ، لسبب أنه تزوج من إمرأة كوشية (أى سوداء من الحبشة) فأنبهما الله ، وضرب مريم بالبرص . . . ولكنه فى نفس الوقت ، سُر بأن يسحق يسوع المسيح إبنه بالحزن ، أن جعل نفسه ذبيحة إثم[٣] . لأن موسى ليس حامل خطايا العالم ، بل مجرد عبد يخدم فى بيت الله ، أما المسيح له المجد ، فهو حامل خطايا العالم كله . . . ولقد أتى موسى بالناموس ، الذى هو مؤدبنا إلى المسيح ، ولا شك أن المؤدب يحتاج إلى هيبة وتوقير حتى يكون لتأديبه فاعلية وتأثير . . . أما المسيح فقد أتى ليبذل نفسه . . . حتى يكسب قلوب غير المتأدبين بالحب .

✞ إن القاعدة الأخلاقية ، كما وضعها الناموس الإلهى هى : « رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً[٤] . حتى أن بولس الرسول نفسه إستدرك بسرعة

---

(١) أم ٢٦ : ٢٢ (٢) عب ٣ : ٥ ، ٦ (٣) أش ٥٣ : ١٠
(٤) خر ٢٢ : ٢٨

حينما قالوا له : أتشتم رئيس كـهنة الله ؟ قال : لم أكن أعرف أيها الإخوة إنه رئيس كهنة . ولقد أوصى الرسول بولس أهل رومية :

« لتـخضع كل نفس للسـلاطين الفائقـة . . . من يقاوم السلطان يـقاوم ترتيـب الله[1] » وأيضـاً رسـالتـه إلى تيطـس : « ذكـرهم أن يخـضـعـوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا . ولا يطعنوا فى أحد[2] ».

✝ عندما كـان أبناء يعقـوب يتبادلون النـميمة فيما بينهـم على أبيهم ، كان يوسف العفيف ينقل إلى أبيه نميمـتهم الرديئة[3] . وأبى أن يشـترك معهم لإنه كان ذا فضيلة .

✝ وأيضاً الرسـول بولس كان يخاف أن توجـد مذمات ونميـمات فى كنيسة كورنثوس ، مما يولد فيه الإحساس بالمذلة أمام الله[4] .

✝ وفى سفر الأمثال ، يهاجم النميمة جداً :

« حيث لا نمام يهدأ الخصام[5] ».

« النمام يفرق الأصدقاء[6] ».

« كلام النمام مثل لقمة حلوة وهو ينزل إلى مخادع البطن[7] ».

✝ النمـيمـة دليل رفض الإنسـان عـمل اللـه فى حـيـاته : « نمامين مفتريين مبغضين الله ثالبين[8] ».

✝ مريم شـقيقـة موسى ، مكتـوب عنها فى الكتاب المـقدس إنها نبـية[9]

---

(١) رو ١٣ : ١ ، ٢ (٢) تى ٣ : ١ ، ٢ (٣) تك ٣٧ : ٢ (٤) ٢كو ١٢ : ٢٠
(٥) أم ٢٦ : ٢٠ (٦) أم ١٦ : ٢٨ (٧) أم ١٨ : ٨ (٨) رو ١ : ٣٠ (٩) خر ١٥ : ٢٠

وهى التى قادت التسبيح بعد عبور البحر الأحمر ... وهى تُعتبر مع هارون وموسى من قواد الشعب فى البرية « يا شعبى ماذا صنعت بُك إنى أصعدتك من أرض مصر ... وأرسلت أمامك موسى وهارون ومريم[١] ».

ويبدو أنها كانت متبتلة لتسبيح الله ، لإنها لم تنسب لأى رجل كزوج بل كانت تُنسب فى الكتاب المقدس إلى أخويها موسى وهارون ... وربما شعرت إنها متفوقة على موسى فى هذه النقطة ، أى فى كونها بتول لا تعرف رجلاً ، فى حين أن موسى رغم زواجه من إبنة يثرون كاهن مديان ، عاد وتزوج من إمرأة كوشية ... لذلك سمحت لنفسها أن تَلْسَنْ عليه ... بل وربما أحست أن موسى مدين بحياته منذ طفولته لها ، فحين طرحوه فى البحر داخل سل فى النيل ، راقبته حتى حنت عليه إبنة فرعون ، وأرشدتها إلى أمه لتكون مرضعة له[٢] .

✞ أما هاورن فكان طقس الذبائح اليومية وفروض الكهنوت يجعله فى عزلة عن زوجته لأوقات طويلة ، وربما داخله الشعور بتفوقه على أخيه موسى من جهة العفة الزوجية .

وبدأت النميمة على موسى من إخوته « لأن أعداء الإنسان أهل بيته[٣] » وبدأت مريم وهارون يُحطان من قدر موسى وبأنهما أقرب إلى الله منه !

وهنا تدخل الله ليضع الأمور فى نصابها : « إسمعا كلامى . إن كان

---

(١) ميخا ٦ : ٤ (٢) خر ٢ : ٧ (٣) مت ١٠ : ٣٦

منكم نبى للرب فبالرؤيا أستعلن له . فى حلم أكلمه . أما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كل بيتى ، فماً لفم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز وشبه الرب يعاين . فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدى موسى ؟ فحما غضب الرب عليهما[1] ».

لقد سامح الرب هارون لأنه شعر بخطأه على الفور وإعتذر قائلاً لموسى : « أسألك يا سيدى لا تجعل علينا الخطئية التى حمقنا وأخطأنا بها[1] » بل تضرع من أجل مريم التى أصابها برص ، إذ كان لها نصيباً أوفى من النميمة ، كذلك لم تعتذر عن خطئها .

✞ بدأ البرص ينهش فى جسم مريم ، وعُزلت كالطقس ، خارج المعسكر علامة على الغضب الإلهى ، ولكى يعرف كل شخص حجمه بالضبط فى نظر الله وليس فى نظر ذاته أو فى نظر البشر .

لأن إقتران موسى بالمرأة السوداء ، ذات الجلد الأسود ، كان نبوة على قبول الله لباقى الأمم فى عهوده ومواعيده وملكوته الأبدى ، الأمر الذى تم فى المسيح ، أما مريم التى إشمأزت من التدابير الإلهية إبيض جلدها ببهاق البرص حتى إشمأزت هى أيضاً من بياض جلدها !!



---

(١) عدد ١٢ : ٦ – ٩ (٢) عدد ١٢ : ١١ ، ١٢

٢٤ ـ مشكلة عائلية :

أما كانت تخجل سبعة أيام

(عدد ١٢ : ١٤)

كان زواج موسى من المرأة الكوشية [كما قلنا فى التأمل السابق ، هو نبؤة بحسب المشيئة الإلهية ، تتنبأ عن إقتران الله بالأمم ، وليس اليهود فقط ، فلم يكن زواج موسى من تلك المرأة الحبشية عن إنفلات شهوانى ، ولم تكن إستجابة غير معقولة لغرائز جسدية ضعف أمامها موسى النبى العظيم ، متوقفاً عن عمله الروحانى مع الله . . . كلا ، لأن هذا مستحيل .

– فلقد بلغت علاقة موسى بالله غير المنظور ، أنه يتكلم معه فماً لفم !

– كما أن الله سمح لموسى عبده أن يرى شبه مجده .

– ومع طول مكوثه داخل الغمام الإلهى ، صار وجه موسى يشع نوراً ، حتى أنه كان يضع برقعاً على وجهه وهو يكلم الشعب .

لقد كان زواج موسى من المرأة السوداء حتمية إلهية ، كقول سفر النشيد عن كنيسة الأمم : « أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم[١] » فكان زواج موسى رمزاً أمام كل الأجيال . بأن الله سيقترن بالأمم ويتخذ منهم شعوباً يُدعى عليهم إسمه القدوس . . . أعنى الكنيسة المسيحية ، هذه

---

(١) نشيد ١ : ٥

الكائنة من أقاصى المسكونة إلي أقاصيها من كل القبائل ، والشعوب ، والأمم ، والألسنة[1] . . .

✞ مريم ، بصفتها الأخت الكبرى فى العائلة ، إنتقدت ، عن جهل ، هذا التصرف من أخيها الأصغر موسى . . . لقد خافت على مكانة الأسرة وسط الشعب ، وبدأت تنظر إلى موسى وكأنه أصابه خرف الشيخوخة ! لقد تحولت إلى فريسى آخر يظن نفسه أنه أبر من الآخرين . مشاعر البر الذاتى جعلها تنظر إلي موسى نظرات الإحتقار والدونية قائلة : « هل كلم الرب موسى وحده ؟ ألم يكلمنا نحن أيضاً ؟ » .

إن مشاعر البر الذاتى والفريسية ، تجعل الشخص فخوراً بنفسه جداً ، ومزهواً ومعجباً ومنتشياً بتدابيره ، إلي درجة الإعجاب بل والإنبهار بالذات ! ويستغرق فى النرجسية وكأن الآخرين لا وجود لهم ، فلا يمكنهم أن يصلوا إلي ماوصل إليه هو ولا يوجد ، ولم يُخلق من هو أذكى منه ، ومن يقدر أن يعمل ماأنجزه هو من أعمال . . . رغم كونه فى نظر الله والناس غير المرائين ، إنساناً عادياً جداً ، بل وتافهاً فى كل تدابيره وإنجازاته ، التى عمل لها دعاية ملأ بها الدنيا !

✞ من محبة الله لمريم أخت موسى ، إستعمل معها وسيلة فعّالة يشفيها بها من داء النميمة والتجاسر على ذوى الأمجاد ، ويُبرئها من البر الذاتى والفرييسية الموجبة لكل ملامة ، وللدينونة الأبدية ، فضربها بالبرص لسبعة أيام فقط ، تشفى بعدها . « لأن الذى يحبه الرب

---

(١) رؤ ٧ : ٩ (٢) عدد ١٢ : ٢

يؤدبه . . . فأى إبن (أو بنت) لا يؤدبه أبوه . . . وكل تأديب فى الحاضر لايُرى أنه للفرح بل للحزن ، وأما أخيراً فيعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام . . . لأجل المنفعة ، لكى نشترك فى قداسته [أى نشترك فى نفس قداسة الله[1]] . !!

✞ إنهم سبعة أيام من المذلة حيث طُبقت على مريم البرصاء شريعة الأبرص كما فى العهد القدم وهى :

« ينفون من المحلة كل أبرص ، الذكر والأنثى . . . تنفونهم لكيلا ينجسوا محلاتهم حيث أنا ساكن فى وسطهم[2] » « الأبرص الذى فيه الضربة ، تكون ثيابه مشقوقة ، ورأسه يكون مكشوفاً . . . وينادى نجس نجس كل الأيام التى تكون الضربة فيه . إنه نجس ، يقيم وحده ، خارج المحلة يكون مقامه[3] » .

بعدها عُتقت مريم من فساد البرص الذى إستشرى فى جسمها ، وعتقت أيضاً من كل خطاياها وضعفاتها التى أوجبت عليها هذا الحكم . وكما أن الله خلق الكون فى ستة أيام وإستراح فى السابع ، هكذا خُلقت مريم خليقة جديدة فى تلك الأيام السبعة . ومع خروج البرص من جسمها ، خرجت الخطيئة من حياتها .

فبصقة الآب فى وجهها كأب ، رغم كونها للخزى والعار ، إلا إنها فى نفس الوقت هى نفخة روح وحياة لخليقة جديدة .

لقد أدب الله مريم ، كما يؤدى كل قديسيه ، كأب غيور على فلاح

---

(١) عب ١٢ : ٦ – ١١ (٢) عدد ٥ : ١ – ٤ (٣) لا ١٣ : ٤٥ ، ٤٦

أولاده . . ولكنه « لا يحقد إلى الدهر ولايذل الإنسان من قلبه ، فإنه ولو أحزن ، يعود ويرحم حسب كثرة مراحمه[1] » .

فالكتاب المقدس بعد ذلك يذكر مريم أخت موسى بكل توقير وأجلال وبركه ، كبطلة من أبطال القداسة فلقد ذكر الله فى التوراة عن وفاة هارون ووفاة موسى وإيضاً عن عن وفاة مريم وموضع قبرها .

فلقد مات هارون ودفن بجبل هور[2] .

ومات موسى وأخفى الله قبره عبر الأردن[3] .

وكذلك ماتت مريم ودفنت فى برية قادش برنيع[4] .

٣٥- إنهم لا يصدقون الله ؟

حتى متى يهيننى هذا الشعب ؟ وحتى متى لا يصدقون بجميع الآيات التى عملت فى وسطهم ؟
(عدد ١٤ : ١١)

قاربت رحلات بنى إسرائيل فى صحراء سيناء نهايتها . . وأصبح دخول بنى إسرائيل إلى أرض الموعد قاب قوسين أو أدنى . . فها هو الله يأمر موسى بأن يرسل جواسيس ، ليكون دخولهم إلى هناك عن معرفة ، وليس كمن يخطو إلى المجهول . . . كان عدد الجواسيس

---

(١) مراثى ٣ : ٣١ - ٣٣ (٢) عدد ٢٠ : ٢٨ (٣) تث ٣٤ : ٥ ، ٦
(٤) عدد ٢٠ : ١

إثنى عشر رجلاً ، أى رجلاً وأحداً من كل سبط . . وظلوا يتجسسون أرض الموعد أربعين يوماً ثم عادوا وهم يحملون من خيرات وثمار الأرض . . . ولقد أجمع الجواسيس الإثنى عشر بأن الأرض فعلاً جيدة جداً وأنها تفيض لبناً وعسلاً حتى أن عنقوداً وحداً من العنب من تلك الأرض حمله رجلان على كتفهما بالدقرانة ! !

أما من جهه سكان أرض الموعد الذين سيحاربونهم ويستولون على أرضهم ، فقد قال جاسوسان هما ، يشوع بن نون الذى من سبط أفرايم ، وكالب بن يفنة الذى من سبط يهوذا : « نحن نقدر أن نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها . . أما باقى الجواسيس العشرة فأ شاعوا مذمة قائلين : « لانقدر أن نصعد لأنهم أشد منا . . قد رأينا هناك الجبابرة . . فكنا فى أعيننا كالجراد وهكذا كنا فى أعينهم[١] » .

ومال الشعب طبعاً نحو الأغلبية : « فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت ، وبكى الشعب تلك الليله . . وقال بعضهم لبعض ، نقيم رئيساً (غير موسى) ونرجع إلى مصر[٢] » وحاول موسى ويشوع وكالب أن يرفعوا إيمان الشعب فى قدرة الله قائلين لهم : « إن سر بنآ الرب يُدخلناً إلى هذه الإرض ، ويعطينا إياها ، أرضاً تفيض لبناً وعسلاً . إنما لا تتمردوا على الرب ولا تخافوا من شعب الأرض لإنهم خبزنا . قد زال عنهم ظلهم ، والرب معنا ، لا تخافوا[٣] ».

---

(١) عدد ١٣ : ٢٧ - ٣٣ (٢) عدد ١٤ : ١ - ٤ (٣) عدد ١٤ : ٨ ، ٩

ولكن الجماعة فى جموحها وتمردها قالوا بصوت واحد وإجماع الأراء ، أن يرجموا بالحجارة !!

✞ هنا ظهر مجد الرب فى نفس اللحظة التى همَّ فيها كل الشعب يرجم يشوع وكالب ومعهما موسى وهارون ، تمهيداً لإقامة قائداً جديداً يعود بهما إلى مذلة مصر وعبودية فرعون !

إن الله الممجد من مشارق اشمس إلى مغاربها ، المُسبح من سائر الطغمات السمائية ، شعر أنه يهان فى أفكار هذا الشعب الغليظ الرقبة .

الله قدوس وعظيم وقادر ، إلا أن الأشرار يُحِطّون من قدره فى أفكارهم ويجدفون على إسمه القدوس . . . الأمر الذى سيلاشيه الله بنفخة فمه « حى أنا يقول الرب كى تمتلئ الأرض كلها من مجدى[1] » ولى تجثو كل ركبة[2] . . . لكى يُخضع له الكل[3] .

فحالما ظهر مجد الرب أمام كل الجماعة دوى الصوت الإلهى :

« حتى متى يهيننى هذا الشعب ؟ » وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التى عملت فى وسطهم ؟ »

فإرتعد الأشرار وتراجعوا ، وتقوى الأبرار وتشددوا

✞ هل نسى الشعب بسرعة ، كم طغى فرعون عليهم ؟ فهو لم ينظر إليهم كمجرد جراد ، بل جعلهم كطين الأسواق للدوس تحت الأقدام .

---

(١) خر ٣٢ : ٢١ (٢) فى ٢ : ١٠ (٣) فى ٣ : ٢١

نسوا كيف نصرهم الله على فرعون الطاغية وإستخلصهم من وسط المذلة بيد شديدة وذراع ممدودة .

أو هل نسى حربهم مع عماليق بمجرد أن عبروا البحر الأحمر ، وإنتصروا لمجرد أن موسى كان رافعاً يديه فى وضع صلاة لله . . .

وهكذا بإستمرار عندما ينسى الإنسان مواقف الله معه ، تنتابه أفكار الضعف والمهانة فى نفسه وفى الله الذى يؤزاره ويسنده !

✞ إنها أخطر حروب النهايات ، حرب اليأس ، وعدم تصديق الله ، وفقدان كل الإيمان ! . . . لو كانوا صدقوا آنذاك لدخلوا أرض الموعد على التو ، ووفروا على أنفسهم أربعين سنة وهم فى التيه ، تلك المدة التى حتمها الرب حتى يفنى الجيل المتشكك غير المؤمن[١] .

✞ لقد رأى يشوع وكالب نفس مارآه باقى الجواسيس العشرة فى أرض الموعد وهم يتجسسونها ، ولكن نظرتهما كانت ممتزجة بالإيمان والثقة فى الله ، وتصديق وعده . . . فلم يروا أنفسهم كجراد فى أعين الأعداء ، بل رأوا الأعداء خبزاً مطحوناً ومعجوناً ومخبوزاً ومقدماً من الله لهم ليغذوا أنفسهم به . . .

العشرة أرادوا صون حياتهم وحياة نسائهم وأطفالهم من المخاطرة مع الله ففقدوها ، أما يشوع وكالب فكانا على إستعداد أن يضيعوا حياتهم من أجل الله ، فوجداها . لأن القاعدة الإلهية : « كل من وجد (خاف) على حياته يضيعها ، ومن أضاع حياته من أجل الله يجدها[٢] ».

---

(١) عدد ١٤ : ٣٣ (٢) مت ١٠ : ٣٩

جاء فى الرسالة إلى العبرانيين :

« فمن هم الذين إذ سمعوا أسخطوا ، أليس جميع الذين خرجوا من مصر بواسطة موسى . ومن مقت أربعين سنة أليس الذين أخطأوا ، الذين جثثهم سقطت فى القفر . ولمن أقسم لن يدخلوا راحته إلا الذين لم يطيعوا . فنرى إنهم لم يدخلوا لعدم الإيمان[١] » . . . « اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم[٢] » .

٢٦ - غفران الله . . . حتى متى ؟

حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علىَّ ؟

(عدد ١٤ : ٢٧)

لقد تحّول الشعب من النقيض إلى النقيض ! وبدلاً من التفكير فى الرجوع إلى مصر ، إرتعاباً من سكان أرض الموعد ، تمنطق كل رجل بعدة الحرب وقالوا نصعد ونحارب ونهزمهم ، حتى بدون إنتظار لأمر من الله ولا تنظيماً من عبده موسى[٣] ! . . . لقد كان الشعب مضطرب ، ومشوش الفكر . . . بسرعة تحَولت أفكارهم من الجبن إلى الشجاعة ، ومن خطة الهرب إلى خطة الهجوم ، ومن القلق على المصير إلى الإستخفاف بالمصاعب ! ولكن كلا النقيضين كانا عصياناً على الله . . . وهكذا كل عقل غير ملتزم بالله ، تجده متقلباً مع أفكار شتى تنقله من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار فى ثوان ، وكلها أفكار طمثة لا تؤدى

---

(١) عب ٣ : ١٦ - ١٩ (٢) عب ٣ : ١٥ (٣) عدد ١٤ : ٣٩ - ٤٥

بصاحبها إلا إلى الخراب والهلاك . يصف موسى فى الأسفار المقدسة ماحصل قائلاً « فأجبتم وقلتم قد أخطأنا إلى الرب . . . وتنطقتم كل واحد بعدة حربه . وأستخففتم الصعود إلى الجبل ، فقلت لكم لا تصعدوا فهذا لا ينجح لأن الرب ليس فى وسطكم ، فلم تسمعوا بل طغيتم . فنزل العمالقة والكنعانيون و ضربوكم وكسروكم ، فرجعتم وبكيتم أمام الرب ، ولم يسمع الرب ولا أصغى إليكم[1] » .

✞ لم توجد وصية من وصايا الله العشر لم يكسرها شعب إسرائيل .

الله يشق لهم البحر	وهم يرجعون لعبادة عجل أبيس !
الله يضرب فرعون ويغرقه	وهم يخافون ويرتعبون !
الله يعطيهم المن السماوى	وهم يتذمرون !
ويغرق محلتهم بالسلوى	وهم يتأففون !
ويفجر لهم المياه من الصخرة	وهم يتشككون !
ويحافظ عليهم فى القفر المخيف	وهم يعاندون !
وهم على وشك دخول أرض الموعد	قالوا برجم موسى !
وبعد تأكدهم أن الأرض تفيض لبناً وعسلاً	قرروا الرجوع إلى مصر !

---

(١) تث ١ : ٤١ - ٤٤

الله يحررهم من المذلة والعبودية	وهم يجدفون !
ويتنازل بحضوره الدائم وسطهم	وهم لا يبالون !
ويجعل وسطهم كهنوتاً للمجد والبهاء	وهم يقاومون ويتبجحون !
يعطيهم وصاياه وشرائعه	وهم يحتقرون !

وهنا يتسائل الله :

حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علىَّ ؟

✝ لقد تغنى رجال الله بروح المغفرة التى للرب ، فميخا النبى يناجى الله قائلاً : من هو إله مثلك ، غافر الإثم وصافح عن الذنب . . . لا يحفظ إلى الأبد غضبه ، فإنه يُسر بالرأفة . يعود يرحمنا . يدوس آثامنا وتطرح فى أعماق البحر جميع خطاياهم[1]» . وأيضاً فى أشعياء النبى : « أنا أنا هو الماحى ذنوبك لأجل نفسى وخطاياك لا أذكرها[2]» وأيضاً « قد محوت كغيم ذنوبك ، وكسحابة خطاياك . إرجع إلىَّ لأنى فديتك[3]» وأيضاً « لأن إلهنا يُكثر الغفران[4]» . . . الله مستعد أن يغفر للتائب كل أنواع الخطايا ، أما الإنسان الذى ليس عنده إيمان فى غفران الله ، فكيف سيحصل على الغفران ؟ لذلك يقول معلمنا بولس : « وكل ماليس من الإيمان فهو خطيئة[5]» .

✝ ها الشعب العبرانى الغبى يفقد ثقته وإيمانه بالله ، وهاموسى القائد الأمين قد إحتار وتمررت نفسه منهم . . . فقال الرب لموسى :

---

(١) ميخا ٧ : ١٨ ، ١٩ (٢) أش ٤٣ : ٢٥ (٣) أش ٤٤ : ٢٢
(٤) أش ٥٥ : ٧ (٥) رو ١٤ : ٢٣

« إنى أضربهم بالوباء وأبيدهم وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم[1] » لم ينتهز موسى الفرصة ، وفقدانّ الثقة بين الله والشعب ، لأنه لو كان وافق آنذاك لتحول بنو إسرائيل فى التاريخ وفى كل الأسفار المقدسة إلى بنى موسى .

ولكن موسى كنبى أمين فى بيت الله أبى أن يأخذ مجداً لذاته مفكراً فقط فى شماتة المصريين ، وإسم الرب الذى سيهان لو أبيد كل الشعب ، وبدأ على هذا الأساس يتشفع لدى الله : « أصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك . وكما غفرت للشعب من مصر إلى هنا[2] » .

فقال الرب : « قد صفحت حسب قولك[3] ».

يا لإتضاعك يا الله حيث تتفاوض مع عبدك موسى ، وتأخذ بوجهة نظره !

ويالعظمة قيادتك يا نبى الله موسى . . . إذ رفضت مجدك الذاتى ، وكان كل تفكيرك وإهتمامك فى مجد الله الذى أرسلك . . .

☩ ولكى لا يستخف الشعب بخطاياهم فيعاودوا إرتكابها طامعين فى الصفح وغفران الله الذى بلا حدود قال : « إن جميع الرجال الذين رأوا مجدى وآياتى التى عملتها فى مصر وفى البرية وجربونى الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولى ، لن يروا الأرض التى حلفت لآبائهم . وجميع الذين أهانونى لا يرونها . . . وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون

---

(١) عدد ١٤ : ١٢ (٢) عدد ١٤ : ٢١ (٣) عدد ١٤ : ٢٢

غنيمة ، فإني سأدخلهم فيعرفون الأرض التى إحتقرتموها . . . كعدد الأيام التى تجسستم فيها الأرض ، أربعين يوماً ، للسنة يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة . . . فتعرفون إبتعادى[1] ».

✞ يشوع بن نون الذى من سبط إفرايم دخل أرض الموعد وسكن المنطقة الشمالية كلها . . . كذلك كالب بن يفنه دخل هو أيضاً أرض الموعد ، إذ كانا أمينان مع الله ، وسكن أرض الجنوب المتسعة التى صارت لسبط يهوذا . . . أما باقى الأسباط ، فمنهم من سكن بينهما فى أرض الموعد ومنهم من سكن عبر الأردن . . . وهكذا حقق الله وعوده .

٣٧ - الله أم المال :

من هؤلاء الرجال الذين عندك ؟

(عدد ٢٢ : ٩)

نهر الحياة الرائق الصافى ينساب فى هدوء ليروى كل الغروس العطشانة ، ولكن عندما تعترض تدفق تياره صخرة سرعان ما يتحول إلى شلال هادر مولداً طاقات هائلة بجانب إروائه للغروس العطشانة أيضاً . . . هذا ينطبق على شعب بنى إسرائيل فى مسيرتهم مع الله نحو أرض الموعد ، حين صادفهم نبى شرير هو بلعام بن بعور ، كصخرة

---

(١) عدد ١٤ : ٢٢ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٣٤

هائلة ، تعترض مسيرتهم الهادئة قرب نهايتها . . . ويبدو أن الله قد سمح بهذه العقبة قرب دخولهم أرض الموعد فعلاً ليحفذ هممهم ، وبعد أن يتجاوزوها يكونون كمثل شلال هادر يكتسح كل من يعترضهم ، قاصداً أن يُبعدهم عن الله . . .

☩ كان بنو إسرائيل قد تنقوا جداً ، فكل الجيل المتمرد على الله قد فنوا وماتوا ودفنوا فى البرية . الجيل الحالى هم الأطفال الذين ولدوا فى البرية بجوار خيمة الإجتماع ، وأبدانهم نمت وترعرعت من المن السماوى ، وإرتووا من الصخرة [والصخرة كانت المسيح] لقد شبوا رجالاً ملتزمين جداً بالله . لم يكن لهم ماض فى الشر والإثم يسترجعونه فى ذاكرتهم ، كذلك لم يفكروا فى مستقبل لهم غير أن الله سيدخلهم أرض الموعد . . . « الله ، لم يبصر إثماً فى يعقوب ، ولا رأى تعباً فى إسرائيل الرب إلهه معه ، وهتاف ملك فيه[1] » .

☩ ومن الناحية الأخرى هناك شخصية عجيبة هو - بلعام بن بعور - كان قد أخذ موهبة من الله ، أنه عندما يُبارك إنساناً أو شعباً . . . يتبارك فعلاً ، وعندما يلعن إنساناً أو شعباً تلحقهم اللعنة فعلاً ! . . . ولكن هذه الموهبة كانت خاضعة للمشيئة الإلهية . فالوحى يملك على بلعام ، ولا يستطيع أن ينطق إلا بالأقوال التى يريدها الله : « إنى قد أمرت أن أبارك . فإنه قد بارك فلا أرده[2] » .

☩ جاء رجال إلى بلعام هذا ليعقدوا معه صفقة ، هى أن يأتى ليلعن شعب إسرائيل ، قبل أن يحاربهم بالاق ملك موآب . . . وذلك نظير

---

(١) عدد ٢٣ : ٢١ (٢) عدد ٢٢ : ٣٢

أموال طائلة ، وهدايا ، وحلاوين العراف . كان بلعام يعرف أن الله سيبارك الشعب ، ولكنه فى نفس الوقت مائل بقلبه نحو أموال بالاق التى سيعطيها له . . . فهل يخالف الوحى ويتجاسر ويلعن إسرائيل ، أم يضرف النظر عن هذه الصفقة برمتها ؟ وإذ بصوت الله يناديه ، كما كل نفس أضمرت مخالفة الله فى شئ ما : يا بلعام . . . من هؤلاء الرجال الذين عندك ؟ . . . لأن الطريق ورطة[1] » . . .

✞ أصر بلعام على الذهاب رغم تحذيرات الله التى كانت أقواها ، حين نطق حماره الأعجم إذ رأى ملاك الرب ، ولم يكن بلعام يراه . . . وهو الذى كان يفتخر بأنه « يرى رؤيا القدير مطروحاً وهو مكشوف العينين[2] » وأشار بلعام مشورة الخبث على بالاق ، كى يُفسد براءة شعب إسرائيل ويلوث نقاءه . . . وذلك بأن يرسل لهم بنات موآب لإغراء وعثرة رجال إسرائيل ، كى يزنوا معهن ، ويعبدوا آلهتهن ويأكلوا معهن من ذبائح الأوثان ، فيرى الله الإثم فيهم ، فيغضب عليهم وبذلك تجوز اللعنة فيهم . . .

عن هذا قال الرسول بطرس فى رسالته : « قد تركوا الطريق المستقيم فضلوا تابعين طريق بلعام . . . الذى أحب أجرة الإثم . ولكنه حصل على توبيخ تعديه ، إذ منع حماقة النبى حمار أعجم ناطقاً بصوت إنسان[3] » وأيضاً الرسول يهوذا ذكر عن هذا : « ويل لهم لأنهم إنصبوا إلى ضلالة بلعام لأجل أجرة[4] » ويبكت الله ملاك كنيسة برغامس :

---

(١) عدد ٢٢ : ٣٢ (٢) عدد ٢٤ : ٤ (٣) ٢بط ٢ : ١٦

(٤) يه ١١

« إن عندك هناك قوماً متمسكين بتعليم بلعام الذى كان يعلّم بالاق أن يلقى معثرة أمام بنى إسرائيل أن يأكلوا ماذبح للأوثان ويزنوا[1] ».

ولقد نجحت ضلالة بلعام إلى حين . فإستشرى الزنى وسط الشعب النقى ، وإستشرى أيضاً فى وسطهم وباء الله ، الذى أفنى منهم أربعة وعشرون ألفاً . . . ولكن فينحاس رئيس الكهنة آنذاك غار غيرة للرب ، وقتل كبيرة الزناة مع كبير الزناة بأن طعنهما بالرمح فى بطنهما . . . فوقف الوباء . . .

ولنا هنا وقفتان عمليتان لنعتبر فى تدابير حياتنا :

(١) أن لا نقبل فى بيوتنا ضيوفاً يبعدوننا عن تنفيذ مشيئة الله . . . فعندما تقبل ضيوفاً فى بيتك إسمع صوت الله : من هؤلاء الرجال (أو النساء) الذين عندك ؟

(٢) أن نحترس من الطمع ، فحياة الإنسان ليست فى أمواله[2] . رجل الله هو الإنسان الذى لا يقلق على مستقبله المادى ، لأن الله هو الذى يرعاه . فلا يعوزه شئ[3] . حقاً إن خادم المذبح من المذبح يأكل[4] . ولكن التقوى مع القناعة هى تجارة عظيمة[5] . لإنه يعلم تماماً أنه لا يقدر أن يخدم الله والمال[6] . وأن محبة المال هى أصل كل الشرور[7] . « لكى يكون لكم كل إكتفاء كل حين فى كل شئ تزدادون فى كل عمل صالح[8] » إنه ترك كل ماله كوصية المسيح كى يتبعه ويكون تلميذاً له[9]

---

(١) رؤ ٢ : ١٤ (٢) لو ١٢ : ١٥ ، ١٦ (٣) مز ٢٣ : ١
(٤) ١كو ٩ : ١٣ (٥) ١تى ٦ : ٦ (٦) متى ٦ : ٢٤
(٧) ١تى ٦ : ١٠ (٨) ٢كو ٩ : ٨ (٩) متى ١٩ : ٢١

فعندما يحقق الله وعده ويعيطيه مئة ضعف عن ماتركه[١] عليه أن يُغض تعظم المعيشة[٢] . لأنه إن كان لنا قوت وكسوة فلنكتفِ بهما[٣] . ورجل الله أيضاً يعلم أن الله هو الذى أعطاه قوة لإصطناع الثروة[٤] . لذلك هو يصنع له أصدقاء بمال الظلم ، كى يكون مقبولاً فى المظال الأبدية[٥] . وأخيراً ، رجل الله . هو الإنسان الحريص على سداد العشور بدقة ، كى لا يكون سالباً لله[٦] .

٣٨ - نعمة التأمل :

هل جرى مثل هذا الأمر العظيم ؟ أو سَمع نظيره هل سمع شعب صوت الله يتكلم من وسط النار كما سمعت أنت وعاش ؟

أو هل شرع الله أن يأتى ويأخذ لنفسه شعباً من وسط شعب ، بتجارب وآيات وعجائب وحرب ويد شديدة وذراع رفيعة ، ومخاوف عظيمة ، مثل كل مافعل لكم الرب إلهكم فى مصر أمام أعينكم .

(تث ٤ : ٣٢-٣٤)

إن التفكر والتأمل فى أعمال الله مع الإنسان ، يأتى للإنسان بأشهى الثمرات . . . تأمل فى خلق الكون والأفلاك ، تأمل فى الزروع

---

(١) مر ١٠ : ٣٠ (٢) ١ يو ٢ : ١٦ (٣) ١ تى ٦ : ٨
(٤) تث ٨ : ١٨ (٥) لو ١٦ : ٩ (٦) ملا ٣ : ٧

والأنهار ، تأمل فى طيور السماء وزنابق الحقل ، تأمل فى شروق الشمس وغروبها ، ومراحل قمر الليل ونجومها ، تأمل سحاب السماء والأمطار والرعود والبروق ، وحتى الفيضانات والجبال والصحارى والصخور تأمل فى أجهزة جسمك وكيف تعمل وطبائع الحيوان وعالم البحار . . . فإن التأمل فى خليقة الله يجعلك أقرب مايكون من الله ، وتسرى فيك مشاعر التسبيح . . .

فى كل وقت ، تنقل الحواس الخمس إلى إدراكك الداخلى أموراً كثيرةً ، لو تفكر الإنسان فيها بتؤده وتأمل ، لا شك أنه سيفهم قدرة الله ، ويفهم ماتُذيعه الخلائق من مجد الله : « فالسموا ت تُحدث بمجد الله والفلك يُخبر بعمل يديه . يوم إلى يوم يذيع كلاماً وليل إلى ليل يبدى علماً[1] ».

✞ فى سفر التثنية ، الذى هو آخر أسفار موسى الخمسة يعيد فيه موسى على أسماع إسرائيل مرة ثانية كل أعمال الله معهم مع إستخلاص العبر ليتأملوا فيها ، إنه يستعيد أمامهم الذكريات منذ خروجهم من عبودية فرعون ، وحتى ذاك الوقت الذى كانوا فيه على مشارف أرض الموعد ، مع التركيز على معاملات الله الممتازة معهم . « باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته[2] » .

كان سرد موسى للأحداث مرة ثانية على أسماع بنى إسرائيل فيها أيضاً شئ من العتاب . فرغم إنهم رأوا بأعينهم ، وسمعوا بآذانهم ،

---

(١) مز ١٩ : ١ ، ٢ (٢) مز ١٠٣ : ٢

ولمسوا بإيديهم وذاقوا بحنكهم ، وإستنشقوا بأنوفهم أعمالاً صالحة كثيرة جداً يعملها الله معهم كل يوم ، إلا أنهم لم يتأملوا فيها بعمق ، حتى تنتقل من الإدراك الحسى إلى الشعور الوجدانى الداخلى ، لتُحدث تأثيراً فى إتجاهاتهم نحو الله .

✝ ليس كل ناظر أعمال الله متأمل . . . فالتأمل يحتاج إلى نعمة إلهية ، ونور إلهى يستنير به الذهن : « بنورك يارب نعاين النور[١] » كما يحتاج إلى عمق وبعد عن السطحية . . . أما قساة القلوب وغلاظ الرقاب فإنهم « يسمعون سمعاً ولا يفهمون ، ومبصرين يبصرون ولا ينظرون[٢] » . كم من أحداث تمر فى حياة الإنسان كل يوم ، والله يقصد أن نستخلص منها دروساً وعبر إن كنا نتفطن فيها متأملين يد الله كما فعل داود وكتب خُلاصة خبرته مع الله : « كنتُ فتى وقد شخت ولم أر صديقاً تُخلىّ عنه ، ولا ذرية له تلتمس خبزاً[٣] » .

✝ من أروع الأمور التى على الإنسان أن يتأمل ويهذُ بها ليل نهار ، هى شرائع الله ووصاياه كما هى مدونة فى الأسفار المقدسة[٤] . فهذا يصير الجاهل حكيماً[٥] « فتح كلامك ينير ، يُعقّل الجهال[٦] » إنها كلمات الله المنقية لدواخل الإنسان ، نسمات حياة الله نستنشقها من هناك « الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة[٧] » .

---

(١) مز ٣٦ : ٩ (٢) أش ٦ : ٩ ، ١٠ (٣) مز ٣٧ : ٢٥
(٤) مز ١ : ٢ ، ١١٩ : ١٤ ، ١٦ ، ٢٤ (٥) مز ١١٩ : ٩٧ – ١٠٠
(٦) مز ١١٩ : ١٣٠ (٧) يو ٦ : ٦٣

✟ ولنعد إلىٰ التساؤلات التى يسألها الله لبنى إسرائيل فى الآيات عاليه ففيها يقصد الله أن يُنعش ذاكرتهم ليتفكروا فى أعماله العظيمة التى عملها لهم ، ويتأملوا مدى محبته وقدرته وأمانته :

– كيف أراد فرعون أن يُجرى عليهم مايُسمى اليوم تطهيراً عرقياً ، بإماتة الذكور ، وإستبقاء الإناث . . . ولكن الله أفشل كل مخططات فرعون .

– رأوا كيف إستخلصهم الله من وسط شعب مصر بضربات موجعة ومؤثرة على المصريين ، وفى نفس الوقت لا يلحقهم هم أى أذى ، رغم إنهم يعيشون سوياً مع المصريين على أرض واحدة ! « إن الرب يميز بين المصريين وإسرائيل » « ولكن أميز فى ذلك اليوم أرض جاسان حيث يقيم شعبى[1] » .

– رأوا كيف خرجوا من وسط معذبيهم بيد شديدة وذراع ممدودة ، هى ذراع الله ، وإستطاعوا عبور البحر الأحمر . . . ولما همَّ فرعون وقواته بالسعى ورائهم لإعادتهم ، طبق البحر عليهم وأغرق أعداءهم .

أطعمهم المن النازل من السماء . وإرتووا من المياه التى أنبعها الله لهم من الصخرة ، وإستأنسوا بعمود الغمام نهاراً وعمود النار ليلاً . . وجعل الرب صحراء سيناء التى هى قفر موحش ، حولها لهم مكان متعة إلهية حيث عناية الله المباشرة بهم ، ومرافقته بنوره الإلهى لهم . .

✟ يالها من موضوعات للتأمل فيها ليل نهار ، عاصروها وعاشوا

---

(١) خر ٨ : ٢٢ ، ٩ : ٤ ، ٦ ، ٢٦ – ١٠ : ٢٣ – ١١ : ٧

بها ، لو كانوا قد تعمقوا التفكر بها لأثمر هذا التأمل حباً قلبياً نحو الله ، وطاعة فورية بلا فحص لكل وصاياه .

علينا نحن أيضاً أن نتامل عمل الله معنا ، لا سيما الذى فعله لاجلنا فى المسيح « لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته[1] » .

٣٩- المتغيرات والثوابت فى الحروب الروحية :

هل شجر الحقل إنسان حتى يذهب قدامك فى الحصار

(تث ٢٠ : ١٩)

يتناول الإصحاح العشرون من سفر التثنية ، شرائع الحرب لبنى إسرائيل وهم يحاربون حروب الرب . . . ونفس هذه الشرائع يمكن تطبيقها فى العهد الجديد على المحاربات الروحية . . . لذلك سنتكلم عن كل شريعة على حدة ثم نطبقها على حروبنا الروحية ، مع التركيز فى النهاية على التساؤل الذى سأله الله .

الشعار : « لأن الرب إلهكم سائر معكم لكى يحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم[2] » .

المسيح له المجد هو الإله المتجسد ، الذى حل بيننا ورأينا مجده مجداً[3]

---

(١) أف ١ : ٦ ، ٧ (٢) تث ٢٠ : ٤ (٣) يو ١ : ٥

وحارب الشيطان والعالم والجسد وكل أنواع الخطايا ، وأخيراً حارب الموت ، وأتى لنا بالإنتصار الساحق على كل القوى المقاومة لنا روحياً فشكراً للغالب الذى يقودنا فى موكب نصرته « لإنه فيماهو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين » وأيضاً « فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم ، إشترك هو أيضاً كذلك فيهما ، لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس[١] ».

الروح المعنوية العالية : « لا تضعف قلوبكم . لا تخافوا ولا ترتعدوا ، ولا ترهبوا وجوههم[٢] ».

نتيجة الإيمان بأن المسيح قد حارب وإنتصر عنا ، هذا يجعلنا نطمئن أن عدونا قد تم هزيمته . . . فقط علينا أن لا نصدق تهاويله فهو ليس أسداً هصوراً ، إنه مجرد أسد من كرتون « قاوموا إبليس فيهرب منكم[٣] » لا نرتعب من زئيره ، لإنه مجرد زئير مفتعل .

عدم الإرتباك مع أمور الدنيا : « من هو الرجل الذى بنى بيتاً جديداً ليذهب ويرجع (من القتال) . من هو الرجل الذى غرس كرماً . . . ليذهب . . . من هو المرجل الذى خطب إمرأة . . . ليذهب[٤] » . . . لأنه « ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكى يرضى من جنده . وأيضاً إن كان أحد يجاهد ، لا يُكلل إن لم يجاهد قانونياً[٥] » لأن الذى أراد أن يكون جندياً وراء المسيح ، عليه أن يُعطى للمسيح الإهتمام الأول فى حياته ، حتى قبل إهتمام المعيشة .

---

(١) عب ٢ : ٩ – ١٨ (٢) تث ٢٠ : ٣ (٣) يع ٤ : ٧
(٤) تث ٢٠ : ٥ – ٨ (٥) ٢تى ٢ : ٤ ، ٥

التنظيم وإقامة رؤساء : « يقيمون رؤساء جنود على رأس الشعب[1] » الجهاد الروحى يحتاج إلى شيوخ ذوى خبرة « أما الشيوخ المدبرون حسناً فليحُسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ، ولا سيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم[2] » ويوصى معلمنا بطرس الرسول : « أيها الأحداث إخضعوا للشيوخ[3] » . . .

الصُلح أو الحصار : « حين تقترب من مدينة لكى تحاربها إستدعها إلى الصلح . فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها[4] » .

لقد فهم الآباء الشيوخ المختبرون أن الشيطان لا يمكن أن يهادن فى العمل الروحى ، والجسد لا يمكن أن يخضع تماماً لقوانين العبادة ، والعالم يجلد كل من لا يجاريه ، لذلك على جندى المسيح منذ البداية أن يقيم حصار الأصوام والنسك والتجرد على جسده وملذات نفسه مجتهداً « أن يقيم نفسه لله مزكى عاملاً لا يخزى[5] » . . . حينئذ يستسلم له الأعداء .

الغنائم : « وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك[6] » لا تظن أن غنيمة الإنتصار فى جهادك الروحى هو راحة الجسد وتلذذ النفس والإندماج مع شهوات العالم . . . كلا . . .

إن الغنيمة التى يعطيها لك الرب إلهك هى حياة النعمة ، وعشرة

---

(١) تث ٢٠ : ٩ (٢) ١تى ٥ : ١٧ (٣) ١بط ٥ : ٥
(٤) تث ٢٠ : ١١ ، ١٢ (٥) ٢تى ٢ : ١٥ (٦) تث ٢٠ : ١٤

المسيح وكل السمائيين ، وطهارة الفكر ، ونقاوة القلب ، وميراث الملكوت الأبدى .

« من يغلب يرث كل شئ وأكون له إلهاً وهو يكون لى إبناً[١] » .

وأخيراً لا تتلف الأشجار التى يؤكل ثمارها : « لأنه هل شجر الحقل إنسان حتى يذهب قدامك فى الحصار ؟[٢] » .

فى الحروب الروحية نحن لا نقتل الجسد ، بل نقتل حركات الجسد المشينة بنعمة المسيح ، كذلك نحن لا نُهلك النفس بالحزن المفرط والشعور بالذنب والإكتئاب فهذه كلها ليست نصرة ، « لأن فرح الرب هو قوتكم[٣] » لأننا بنفس هذا الجسد سنسجد ونركع ونسهر ونصلى ونسبح ونخدم الرب ، وبهذه النفس التى لنا سنتأمل فى الإلهيات ، ونحب الله ونتبعه من كل قلوبنا . « لأنه كما قدمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم ، هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة[٤] » « لأنه لما كنا فى الجسد ، كانت أهواء الخطايا التى بالناموس تعمل فى أعضائنا لكى نثمر للموت . أما الآن فقد تحررنا . . . حتى نعبده بجدة الروح لا بعتق الحرف[٥] » « ولا تقدموا أعضاءكم آلات آثم للخطيئة بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله[٦] » « إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله . ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه[٧] » .

---

(١) رؤ ٢١ : ٧ (٢) تث ٢٠ : ١٩ (٣) نح ٨ : ١٠
(٤) رو ٦ : ١٩ (٥) رو ٧ : ٧ (٦) رو ٦ : ١٣ (٧) كو ٣ : ١٠

ومن بستان الرهبان قصة توضح هذا المبدأ : فى أحدى المناسبات رأى أنبا إسحق أنبا بيمن يصب ماءً على قدميه فقال ، كمن له مطلق الحرية فى الحديث أمامه : « كيف يكون هذا ؟ فبينما يدرب الآباء أنفسهم على أتعاب شاقة ، وأعمال نسك عظيمة ، حتى أنهم قمعوا أجسادهم نراك تغسل قدميك ؟ » أجاب أنبا بيمن : « إننا لم نتعلم أن نكون قاتلين لأجسادنا ، وإنما قاتلين لشهواتنا » .

٣٠ - كيف تنتصر على عماليق :

كيف لاقاك (عماليق) فى الطريق وقطع من مؤخرتك كل المستضعفين وراءك وأنت كليل ومُتعَب ولم يخف الله

(تث ٢٥ : ١٨)

يحلو للآباء أن يجعلوا كل عدو حاربه بنو إسرائيل ، رمزاً إلى خطيئة معينة تحارب المؤمن - ففرعون يرمز لخطيئة الكبرياء وسدوم للنجاسة ، وموآب للزنى . . . إلخ .

أما عماليق الذى يتحدث عنه فى التساؤل عاليه ، فهو يرمز إلى الغرور ، والزهو ، والمجد الباطل .

إنه مرض روحى ، فيه يتيه الإنسان عُجباً بذاته ، ولا ينسب لله أى فضل له فى حياته ! وبذلك تتخلى نعمة الله عنه فيختبر ضعفه .

« توضع عيناً تشامخ الإنسان ، وتُخفض رفعة الناس ، ويسمو الرب وحده[1] » .

فمن هو عماليق ؟ ومن هم العمالقة فى الأسفار المقدسة ؟

✝ فى مواقف عديدة أمر الرب بإبادة عماليق :

« فقال الرب لموسى ، إكتب هذا تذكاراً فى الكتاب وضعه فى مسامع يشوع ، فإنى سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء . وقال : للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور[2] » .

« فمتى أراحك الرب إلهك من جميع أعدائك حولك فى الأرض التى يعطيك الرب إلهك نصيباً لكى تمتلكها ، تمحو ذكر عماليق من تحت السماء . لا تنسى[3] » .

« وقال [صموئيل لشاول] فالآن إذهب وإضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعفو عنهم بل أقتل رجلاً وإمرأة . طفلاً ورضيعاً بقراً وغنماً . جملاً وحماراً[4] ».

« عماليق أول الشعوب ، وأما آخرته فإلى الهلاك[5] » .

فالغرور ، وتصور مجد المساواة بالله ، هو أول خطيئة تحركت فى قلب حواء وآدم ، حين خدعتها الحية بقولها - تصيران مثل الله ، ونتيجة الغرور موت وهلاك . . . لذلك يعمل الله من جيل إلى جيل

---

(١) أش ٢ : ١١ (٢) خر ١٧ : ١٤ - ١٦ (٣) تث ٢٥ : ١٩
(٤) ١صم ١٥ : ٣ (٥) عدد ٢٤ : ٢٠

على إبادة الغرور « فيذل الإنسان ويُحطُ الرجل وعيون المستعلين توضع ، ويتعالى رب الجنود بالعدل ويتقدس الإله القدوس بالبر[1] ».

✞ نلاحظ أن عماليق لا يهاجمون إلا الضعفاء الكليليين وهم فى غفلة من أمرهم ، ويباغتونهم ويسلبون غنائمهم .... والغرور لا يصيب إلا الشخصيات الجوفاء الهزيلة ...

– فقد حاربوا إسرائيل بعد عبورهم البحر الأحمر وهم فى حالة إعياء وكلل[2] .

كذلك حين كانوا فى حالة من البلبلة والتردد[3] .

حاربوا مدينة صقلغ التى كان يسكنها داود ، ولم يكن بها سوى النساء والأطفال ، لأن الرجال كانوا منصرفين فى الحرب مع ملك جت[4] .

فرغم عملقتهم إلا إنهم فى غاية الهيافة ، وغير قادرين على المواجهة الجادة فى الحرب . فلقد غلبهم يشوع بن نون فى صباه هو وحفنة من الغلمان بسهولة ، لأن موسى كان واقفاً لهم على جبل الصلاة رافعاً يديه إلى الله ... وهذه هى الطريقة التى تغلب بها عماليق [أى خطيئة الغرور والزهو فينا] .

كذلك هزمهم داود بسهولة من المساء إلى الصباح فهربوا على جمالهم ، **وإستخلص داود كل الغنائم التى كانوا قد سلبوها .**

---

(١) أش ٥ : ١٥ ، ١٦ **(٢)** خر ١٧ **(٣)** عدد ١٤ : ٤٥

(٤) ١صم ٣٠ : ١ – ٦

أما شاول الملك فقد رفضه الله لأن حربه مع عماليق كانت ناقصة . . فقد عفى عن أجاج ملك عماليق وخيار الغنم والبقر[1] ، فإن لم يتخلص المؤمن من كل مظاهر غروره ، فهو غير مقبول لدى الله . . .

وهناك رأى ، بأن هامان الأجاجى[2] . الذى تآمر على جنس اليهود بسبب أن أحدهم [وهو مردخاى] رفض السجود له مع الساجدين ، هو من نسل أجاج ملك عماليق .

فالغرور الروحى إن لم يسارع المسيحى فى القضاء عليه ربما يقضى الغرور عليه ويهلكه ، حتى ولو بعد زمان .

✞ من الكتاب المقدس ، يمكننا أ ن نستنتج أن عماليق هم قبيلة من نسل اليفاز إبن عيسو[3] . إبن إسحق إبن إبراهيم وكانت تسكن فى مناطق جنوب سيناء ، عند سانت كاترين وشرم الشيخ حالياً ، وحتى إيلات وصحراء النقب . . . فهم بدو رُحَلْ[4] ، يتحالفون مع الملوك حواليهم ، وخصوصاً لضرب بنى إسرائيل .

ويبدو إنهم قد أبيدوا تماماً من على وجه الأرض ، بحسب ماقاله الرب عنهم . فنحن لا نسمع فى الشرق الأوسط الآن مملكة أو دولة بإسم عماليق . . .

✞ لانسطيع أن نغلب أفكار العظمة فينا إلا بمثولنا الدائم فى حضرة الله ، كما إنتصر موسى ويشوع على عماليق برفع اليدين إلى الله . . .

---

(١) ١صم ١٥ : ٢٠ (٢) اس ٣ : ١٠ (٣) تك ٣٦ : ١٥
(٤) ١أى ١ : ٣٦

فالإنسان فى الصلاة يشعر بضعفه وإحتياجه ، كما يشعر بقدرة الله غير المحدودة ، وهكذا يتبدد عنه كل إفتخار باطل « لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه . . . حتى كما هو مكتوب : « من إفتخر فليفتخر بالرب[1] ».

وهذه بعض أقوال القديسين عن محاربة أفكار العظمة قال شيخ : ليس هناك شفاء لوجع المفتخر ، لإنه بقدر مايتعالى بأفكاره ، بقدر ماترتفع معرفة الله عن نفسه ، وإلى عمق الظلمة يهبط .

قال مارإسحق : كن حقيراً ومزدرى فى عينى نفسك فيكون رجاؤك عظيماً بالله . الذى قد أحس بالراحة التى من إحتقار الذات أفضل من الذى وجد تكريماً من تاج الملكة .

٣١ - الإرتقاء فى العلاقة مع الله :

ألرب تكافئون بهذا ، يا شعباً غبياً غير حكيم ؟

أليس هو أباك ومقتنيك ؟ هو عملك وأنشأك ؟

(تث ٣٢ : ٦)

للشاعر الشهير شكسبير أبيات من الشعر ماترجمته :

هبـــى هبـــى هبـــى . . . يا رياح الشتـاء البـاردة

(١) ١كو ١ : ٢٩ ، ٣١

وبالفعل ، عندما تغيب مشاعر الإمتنان ، ولا تُقابل محبتك للآخرين إلا بالكراهية ، فهذا ألم مابعده ألم . . .

✞ الله وضع نشيداً فى فم نبيه موسى كى يعلمه للشعب جيلاً بعد جيل ونحن ندرك ما للأناشيد من تأثير وجدانى على من يُنشد . هذا النشيد يسجل مشاعر الجحود عندهم بالنسبة لله ، رغم أن الله هو المُنعم عليهم !

ولا شك إن مقابلة المعروف والإحسان بالجحود والنكران ، وأعمال المحبة عندما تقابل بالتمرد والعصيان ، فإن العلاقة بين المُنعم والجاحد ، يسودها الفتور ، وتستمر فى النقصان . وهذا واضح من الآية التى يتسائل بها الله . . . فنلاحظ أن العلاقة أولاً كانت :

١ – بين أب وإبنه إذ يقول : أليس هو أباك ؟ ثم تنخفض العلاقة إلى :

٢ – علاقة المقتنى بالقنية « . . . ومقتنيك »

٣ – علاقة العامل بعمله « . . . هو عملك »

٤ – علاقة المنشئ بالمنشأ « . . . وأنشأك »

٥ – علاقة الكلى المعرفة ، بالغبى والجاهل « يا شعباً غبياً غيرحكيم »

فبعد الأبوة التى تتفانى لخدمة الأبناء ، تنخفض العلاقة إلي مقتنى يصون قنيته ويحافظ عليها ، ثم تنخفض أكثر إلى علاقة عامل بعمله ، قد يحبه وقد لا يجد فيه لذة . وتنخفض العلاقة أكثر فأكثر لتكون كعلاقة

المنشئ بالمُنشأ . . . أى يكون قد تعب فى بدايات الإنشاء ، ثم يترك المنشأ لغيره يهتم به ، أما العلاقة الأدنى جداً ، فهى كعلاقة الكلى المعرفة الذى يضيق ذرعاً ، ويتأفف من الغبى والجاهل وهو يتعامل معهما .

✞ ولنبدأ الآن بحالة إنسان وصل فى علاقته مع الله إلى حضيض الغباء والجهل و فكيف يرتقى عبر الدرجات الخمس ليصل إلى علاقة الأبوة الحميمة مع الله ؟

١ - **الله موجود** : لأن المشكلة الأولى مع الجاهل والغبى هى إنكار وجود الله « قال الجاهل فى قلبه ليس إله[1] » فعلى الإنسان الذى يريد أن يسمو فى علاقته مع الله ، أن يؤمن أولاً وقبل كل شئ فى قلبه أن الله موجود . . . » إذ هم مظلموا الفكر ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذى فيهم بسبب غلاظة قلوبهم[2] » وأيضاً « أما أنا فقلت إنما هم مساكين . قد جهلوا لأنهم لم يعرفوا طريق الرب قضاء إلههم[3] » . . . وغياب الله عن فكر الجاهل ، يجعله يحاول أن يثبت بره الذاتى « لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ، ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم ، لم يخضعوا لبر الله[4] ».

٢ - **الله أنشأنى** : إيمان الإنسان أن الله هو الذى أنشأه وكوّنه ، هى نهاية الجهل ، وبداية المسيرة مع الله « لم تختفِ عنك عظامى عندما

---

(١) مز ١٤ : ١ (٢) أف ٤ : ١٨ (٣) ار ٥ : ٤
(٤) رو ١٠ : ٣

صُنعت فى الخفاء ورقمت فى أعماق الأرض[1] » « لإنك أنت نسجتنى فى بطن أمى[2] » أيضاً « يداك صنعتانى وأنشأتانى فهمنى فأتعلم وصاياك[1] » . . . « هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا ، لإنه هو إلهنا ، ونحن شعب مرعاه وغنم يده[3] ».

٣ – **الله مازال يعمل :** بعدما يؤمن الإنسان أن الله هو الذى خلقه وأنشاه ، عليه أن يؤمن أيضاً أن الله مازال له عمل فى حياته اليومية ، وليس كالساعة التى ملأها الله فى البداية ، وهى تدور بعد ذلك من تلقاء نفسها . « أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل[4] » والآن « لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وإن تعملوا من أجل المسرة[5] » وأيضاً « الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل[6] » .

٤ – **الله إقتنانى له :** بعد تقبل الإنسان عمل المسيح اليومى فى حياته يتخذه الله من خاصته التى إقتناها لنفسه[7] . . . فيصونه ويحميه ، كمقتنى ثمين عنده جداً . كما يُعبّر الرسول بولس فى وصيته إلى أساقفة أقليم أفسس : « إحترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى إقتناها بدمه[8] » ويتوسل إشعياء النبى : « إقتننا لك يا الله مخلصنا لإننا لا نعرف آخر سواك[9]» ويستجيب الله لهذا الدعاء كما جاء فى رسالة بطرس الأولى « أما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى . أمة مقدسة ، شعب إقتناء . لكى تخبروا بفضائل الذى دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب[10] » .

---

(١) مز ١٠٧ : ١٥ ، ١٣ (٢) مز ١١٩ : ٧٣ (٣) مز ٩٥ : ٧ (٤) يو ٥ : ١٧
(٥) فى ٢ : ١٣ (٦) اكو ١٢ : ٦ (٧) أف ١ : ١٤
(٨) أع ٢٠ : ٢٨ (٩) أش ٢٦ : ١٢ (١٠) ابط ٢ : ٩

٥ – **الله أب لى** : ثم تسمو العلاقة بين الإنسان والله إلى مستوى علاقة الأب بأولاده : « كما يترأف الأب على البنين ، يترأف الرب على خائفيه[1] » وهذا ماأكده ربنا يسوع المسيح على طول العهد الجديد كله [إنظر على سبيل المثال الموعظة على الجبل ومثل الإبن الضال] .

✞ والآن إن أردنا أن نجيب على التساؤل الإلهى عاليه فنكافئ الرب خيراً عن كل ماأعطانيه ، فلنتأمل إجابة داود النبى على هذا التساؤل :

« بماذا أكافئ الرب عن كل ماإعطانيه ؟ » وكان الرد الموحى به من الروح القدس هو « كأس الخلاص آخذ . وبإسم الرب أدعو[2] » أى مجرد أن أقبل عمل الخلاص الذى عمله المسيح ، وآخذه لحياتى لكى لا أهلك !!!

٣٢ - سر النجاح والفرح فى الحياة :

سأحجب وجهى عنهم ، فأرى ماذا يكون مصيرهم ؟

(تث ٣٢ : ٢٠)

يُجمع جميع الذين ذاقوا عذوبة الحياة الروحية مع الله ، إنهم قد إختبروا إشراق نور وجه الله عليهم أثناء صلوات عميقة . . .

✞ منهم موسى النبى الذى عاش داخل الغمام الإلهى أربعين يوماً وأربعين ليلة حتى أن وجه بعدها كان يشع نوراً باهراً[3] .

---

(١) مز ١٠٣ : ١٣ (٢) مز ١١٦ : ١٣ (٣) خر ٢٤ : ١٨

✞ ومنهم الرسل الذين عاينوا تجلى ربنا يسوع المسيح ، وعبّروا بلسان الرسول بطرس : « يارب جيد أن نكون ههنا[1] ».

ومنهم أخ صادق حكى لى ، أنه بينما كان يصلى فى قلايته بالدير بالمزمور الرابع (الذى فى صلاة الستار) وما أن وصل إلى الآية : « قد أضاء علينا نور وجهك يارب [2] . . » حتى وجد نوراً يملأقلايته ويُبهج قلبه ، مع سهام نور تتراشق عليه من جميع الجهات . . . ومن وقتها والتعزية الإلهية لا تفاق قلبه لمجرد تذكر ما جرى !

وجميع الذين مروا فى مثل هذه الإختبارات ، إتخذوا منه قوة دافعة لحياتهم الروحية ، عالمين أن سر النجاح والفرح الدائم فى الحياة ، هو الوجود فى حضرة نور وجه الله . . .آه يارب . . . تفضل علينا نحن شعبك بهذا الإختبار . . . « طوبى لأناس عزهم بك . . . يارب بنور وجهك يسلكون[3] » « ليتحنن الله علينا وليباركنا ، لينر بوجه علينا ويرحمنا[4] » « يا الله أرجعنا ، وأنر بوجهك علينا فنخلص[5] » و « جعلت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع[6] ».

لقد فهم جميع القديسين أن وجودهم فى نور وجه الله ، هو النصرة ، وهو السعادة ، وشبع السرور « لإنه ليس بسيفهم إمتلكوا الأرض ، ولا ذراعهم خلصتهم ، بل يمينك ، وذراعك ، ونور وجهك لأنك رضيت عنهم[7] » . إلتماس وجه الله أضحى هو المطلب الأول

---

(١) مر ٩ : ٥ (٢) مز ٤ : ٦ (٣) مز ٨٤ : ٧ (٤) مز ٦٧ : ١
(٥) مز ٨ : ٣ (٦) مز ١٦ : ٨ (٧) مز ٤٤ : ٣

والأساسى لهم : « قلتَ (يا الله) إطلبوا وجهى ، وجهك يارب إلتمس ، لا تحجب وجهك عنى[1] ».

✞ يعرفون أن إحتجاب وجه الله عنهم هى حالة لا تُحتمل ! كما لخصها يوحنا دلياثى الشهير بالشيح الروحانى ، إذ قال مناجياً لله :

« من رآك وإحتمل بعد ذلك أن لا يراك ؟ » وفى المفاوضة بين موسى النبى والله ، نلمس حرص النبى أن يضمن إشراق وجه الله الدائم عليهم ، وإلا سيكون الضياع « فقال (الله) وجهى يسير فأريحك فقال (موسى) إن لم يسر وجهك . فلا تصعدنا من ههنا[2] » .

✞ إن إحتجاب وجه الله يعنى معاناة المذلة والضيق ، وتراكم الهموم والأحزان فى القلب ، وإرتفاع العدو وتمكنه ، مع الإحساس كأن النفس مربوطة بأغلال وسلاسل ثقيلة ومشرفة على الهلاك من كثرة الأهوال مع الحيرة لغياب المناص . . . وهذا ماعبّر به صاحب المزامير :

« لماذا تحجب وجهك وتنسى مذلتنا وضيقنا[3] » و « إلى متى يارب تنسانى كل النسيان ، إلى متى تحجب وجهك عنى[4] » « لا تحجب وجهك عن عبدك لأن لى ضيقاً[5] » وأيضاً « يارب لماذا ترفض نفسى لماذا تحجب وجهك عنى[6] » « لا تحجب وجهك عنى فى يوم ضيقى[7] » « تحجب وجهك فترتاع[8] » « أسرع أجبنى يارب . فنيت روحى . لا تحجب وجهك عنى فأشبه الهابطين فى الجب[9] ».

---

(١) مز ٢٧ : ٨ ، ٩ — (٢) خر ٣٣ : ١٥ — (٣) مز ٤٤ : ٢٤
(٤) مز ١٣ : ١ — (٥) مز ٦٩ : ١٧ — (٦) مز ٨٨ : ١٤
(٧) مز ١٠٢ : ٢ — (٨) مز ١٠٤ : ٢٩ — (٩) مز ١٤٣ : ٧

يالها من حالة مفزعة ، ومن يستطيع أن يحتمل ! « حجبت وجهك عنى فصرت مرتاعاً[1] » . . . لذلك كان داود الملك يتضرع إلى الرب بإلحاح : « لا تطرحنى من قدام وجهك[2] » لأنه كان قد رأى بعينه ملك إسرائيل الذى كان قبله وهو شاول بن قيس ، عندما رفضه الله وطرحه من أمام وجهه ، كيف صار مصروعاً من الأرواح الشريرة النجسة ، وكيف أضحى شخصية مهزوزة ، يعانى الشعب من حكمها ، وكأن شاول قد صار ثقلاً على الشعب ، وليس مدبراً حكيماً له . وللأباء أقوال تشجعنا أن نسعى للدخول إلى داخل الغمام الإلهى كموسى النبى .

✟ يقول ديوناسيوس الأريوباغي : « نحن نصلى ليكون لنا حظ الوجود فى ذلك الغمام الإلهى ، الذى هو دون طبيعة جوهر النور » .

✟ ويقول مارإسحق : « كل عقل حسب مقدار تدرجه ، يستنير بكمية محدودة من النور » .

✟ كانت البركة التى يبارك بها الكهنة هى : « يباركك الرب ويحرسك . يضئ الرب بوجهه عليك ويرحمك . يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً . فيجعلون إسمى على الشعب وأنا أباركهم[3] » . المسيح له المجد ، هو أحشاء رأفة الهنا ، التى بها إفتقدنا المشرق من العلاء[4] » . . . لذلك أضحى معرفة مجد الله هى فى وجه يسوع المسيح « لأن الله الذى قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح[5] » « ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف[6] » « إذن فلنذهب ذهاباً لنترضى وجه الرب

---

(١) مز ٣٠ : ٧ (٢) مز ٥١ : ١١ (٣) عدد ٦ : ٢٤ – ٢٧
(٤) لو ١ : ٧٨ (٥) ٢كو ٤ : ٦ (٦) ٢كو ٣ : ١٨

ونطلب رب الجنود[1] » « أضئ بوجهك على عبدك[2] » . . . ولنا الوعد فى النهاية : « هم سينظرون وجهه ، وإسمه على جباههم[3] » .

٣٣ - إنتصارات مذهلة :

كيف يطرد واحد ألفاً ، ويهزم إثنان ربوة ؟

(تث ٣٢ : ٣٠)

لابد أن يكون واضحاً كل الوضوح ، أن حياة المسيحى الحقيقى كما يوضحها الكتاب المقدس هى حياة يقظة ومقاومة وصراع وحرب ! لأن المسيحى يحمل فى أعماقه كنوزاً أبدية ثمينة جداً ، وهو يعيش وسط لصوص وتنانيين كامنيين له ، ويخفون أنفسهم عن مجال رؤيته بمهارة .

فهو لا يقاوم أعداءً من إخوته البشر ، لأن المسيحى الحقيقى هو الذى أُعطى أن يحب أعداءه . . . ويبارك لاعنيه ويُحسن إلى مبغضيه[4] . . . كذلك المسيحى المؤمن لم يعد له صراع مع الأفكار ولا مع الذات لأنه متصالح مع نفسه وله سلام مع الله[5] ، لذلك فهو متمتع بسلام الله الذى يفوق كل عقل[6] . . فالإيمان المسيحى قد ترسخ فى كيانه وحتى النخاع .

لو إدعى إنسان إنه بلا حروب روحية ، فهذا يدل على إنه فقير ومعدم من كل غنى المسيح ، ومقفر فى أعماقه من كل البركات الروحية

---

(١) زك ٨ : ٢١ (٢) مز ١١٩ : ١٦ (٣) رؤ ٢٢ : ٤
(٤) مت ٥ : ٤ (٥) رو ٥ : ١ (٦) فى ٤ : ٧

ويظن وهو مسبى من أعداءه ، ومنهوب من كل قناياه ، أنه فى سلام ! والواقع أنه فى سلام الغفلة والغيبوبة المؤدية به إلى الهلاك وهو فى أيدى أعدائه الشرسين وهم ينهبونه بسهولة . لقد كانت هذه الحقيقة واضحة فى أذهان آباء الصحراء . . .

فقد ذُكر فى بستان الرهبان أن - أتى أخ إلى أبيه الروحى وقال له : يا أبى إننى بلا حروب روحية .

فقال له الأب : إنك تشبه قبة مرتفعة فى السوق [أى مبنى بلا معنى]

وقيل عن أحد الرهبان إنه فى أول ليلة سكن فيها قلايته سمع صوت صفارات الإنذار وأبواق الحرب وخيولاً تجرى فخرج يتسائل : هل هنا حرب فرد عليه الشيطان قائلاً : نعم يا راهب إنها حرب ، إما أن تقاوم أو تلقى سلاحك وتستسلم لإعداءك ! ويوماً أتى القديس يحنس القصير إلى أبيه الروحى قائلاً له : لقد صليت إلى الله أن يرفع عنى الحروب الروحية ، فإستجاب الله ، وهاأنت كما ترانى بلاهم . . . ولكن الأب الحكيم قال له : إذهب وإطلب من الله أن يعيد إليك المحاربات ، لإنك بها تنال أكاليل سمائية . . .

النصرة أكيدة بالمسيح : « لأجل هذا أُظهر إبن الله لكى ينقض أعمال إبليس[١] » « وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً[٢] » فهو الذى « خرج غالباً ولكى يغلب[٣] » « لأن الرب إلهكم سائر معكم لكى

---

(١) ١يو ٣ : ٨ (٢) رو ١٦ : ٢٠ (٣) رؤ ٦ : ٢

يحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم[1] » « الرب يقاتل عنكم وأنتم نصمتون[2] » « لإن الحرب هى للرب[3] » « إن اليد الإلهية على راية معسكر الرب ، للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور[4] ».

✞ من وجد المسيح فقد وجد كنزاً ثميناً وهو حسبه « يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفى فى حقل وجده إنسان[5] » كما عبر الرسول بولس: « (يسوع) المذخرة لنا فيه جميع كنوز الحكمة والعلم[6] » ويقول أيضاً : « لنا هذا الكنز فى أوان خزفية[7] ».

فكل من يريد أن يُفقدك هذا الكنز ، أى يجعلك تفقد المسيح وينزع ملكوت السموات من داخلك ، فهو عدوك الذى يجب أن تصحو له وتسهر وتكون يقظاً ، وتواجهه وتقاومه وتصارعه وتحاربه ولا ترجع حتى تفنيه[8] . . .

« فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات[9] .

لقد حارب بولس ظنون القلق : « هادمين ظنونا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح[10] » لكى لا يضيع منه كنزه . . . وحينما يكتشف أن شهوات الجسد ستجعله مرفوضاً عند الله ، يحاربها : « بل أقمع جسدى وأستعبده[11] » وحارب بأسلحته

(١) تث ٢٠ : ٤ (٢) خر ١٤ : ١٤ (٣) تث ١ : ٣٠ (٤) خر ١٧ : ١٦(ترجمة تفسيرية)
(٥) متى ١٣ : ٤٤ (٦) كو ٢ : ٣ (٧) ٢كو ٤ : ٧ (٨) مز ١٨ : ٣٧
(٩) أف ٦ : ١٢ (١٠) ٢كو ١٠ : ٦ (١١) ١كو ٩ : ٢٧

الروحية القادرة بالله على هدم حصون[1] ، كل الوحوش التى هاجمت قطيعه فى أفسس[2] ، وأنُقذ هو من فم الأسد[3] .

✞ المجد لك يا ربنا يسوع المسيح ، إذ تجعل مسيحياً واحداً يهزم ألفاً من الشياطين وإثنان يهزمان ربوة أبالسة . . . « مبارك الرب صخرتى الذى يُعَلمْ يدى القتال وأصابعى الحرب[4] » « لإنى بك إقتحمت جيشاً ، وبإلهى تسورت أسواراً . . . الإله الذى ينطقنى بالقوة . . . الذى يُعَلم يدىَّ القتال . . . أتبع أعدائى فأدركهم . . . أسحقهم فلا يستطيعون القيام يسقطون تحت رجلىَّ ، تصرع تحتى القائمين علىَّ ، وتعطينى أقفية أعدائى ، ومبغضىَّ أفنيهم . . . فأسحقهم كالغبار قدام الريح[5] » .

✞ إن إختبارات الإنتصارات المذهلة فى المسيح ، حفزت الرسول بولس أن ينصح أولاده : « جاهد جهاد الإيمان الحسن . وإمسك بالحياة الأبدية التى إليها دعيت[6] » وأيضاً « فإشترك أنت فى إحتمال المشقات كجندى صالح ليسوع المسيح[7] » وأيضاً « إلبسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير وبعد أن تتمموا كل شئ ، أن تثبتوا[8] ».

فالأعداء قد إنتزع المسيح سلاحهم الكامل[9] ، وجرد الرياسات والسلاطين ظافراً بهم[10] . فى الصليب . وهو يفضحهم ويستعلن الأثيم الذى الرب يبيده بنفخة فمه[11] . . .

---

(١) ٢كو ١٠ : ٤ (٢) ١كو ١٥ : ٣٢ (٣) ٢تى ٤ : ١٧ (٤) مز ١٤٤ : ١
(٥) مز ١٨ (٦) ١تى ٦ : ١٢ (٧) ٢تى ٢ : ٤ (٨) أف ٦ : ١٣
(٩) لو ١١ : ٢٢ (١٠) كو ٢ : ١٥ (١١) ٢ تس ٢ : ٨

إنظروا ، إن مجرد نفخة من فم المسيح تجعل الشياطين يبادون . . . وماذا بعد هذا ؟

« يقودنا المسيح فى موكب نصرته[١] ، ويجعلنا أكثر من غالبين[٢] » .

٣٤ - كنوز الذكريات :

أليس ذلك مكنوزاً عندى ، مختوماً عليه فى خزائنى ؟

(تث ٣٢ : ٣٤)

منذ خروج بنو إسرائيل من مصر ، وحتى قرب دخولهم أرض الموعد ، كان الرب يُجرى عليهم نوعاً من التنقية الشديدة ، كمثل الذهب فى الكور ، حيث يُحرق منه كل الزغل ولا يبقى إلا الذهب النقى . كما قال أشعياء النبى : « هأنذا قد نقيتك . . . إخترتك فى كور المشقة[٣] » لأنه لا يصح أن يدخل أرض الموعد أى إنسان مهزوز الإيمان بالله ، أو مازال يحمل فى قلبه إثماً أو تمرداً أو ميلاً لعبادة إله آخر . حتى أن بلعام الرائى حين رأى خيام إسرائيل وهم على وشك تملك أرض الموعد رأى بعين النبوة : « لم يبصر إثماً فى يعقوب ، ولا رأى تعباً فى إسرائيل[٤] » وإستطاع يشوع بن نون أخيراً أن يدخل بهذا الشعب الذى تنقى إلى أرض الموعد بعد أن أجازه نهر الأردن .

(١) ٢تس ٢ : ٨ (٢) ٢كو ٢ : ١٤ (٣) أش ٤٨ : ١٠ (٤) عدد ٢٣ : ٢١

✞ عمليات التنقية الإلهية هذه جرت ودونت فى الأسفار المقدسة لنتعظ نحن ، ولتكون لنا مثالاً . . فإنه لا يدخل إنسان إلى ميراثه الأبدى مع يسوع فى ملكوت السموات ، إلا ويكون قد تطهر من كل خطاياه تماماً : « ولن يدخلها (أى المدينة السماوية) شيء دنس ، ولا ما يصنع رجساً وكذباً . إلا المكتوبين فى سفر حياة الخروف[1] » طوبى لمن إستجاب لعمليات التطهير الداخلى التى يجريها المسيح له المجد فى داخله ، فإنه إذا كمل نقاءه سيرث مع المسيح فى المجد السماوى الأبدى .

لقد ظهر فى بنى إسرائيل أثناء رحلتهم من مصر إلى أرض الموعد ، كل ظواهر الضعف والإثم والخطيئة ، التى قد تظهر فى كل من خرج وراء المسيح ليرث ملكوت السموات : من عدم إيمان – وتذمر –وتمرد – وإستخفاف – وكسر لوصايا الله بلا إستثناء – وضجر – وتأفف – وإكتآب – وصغر نفس – وزنى – وشهوات دنسه غير معقولة – وعبادة أصنام . . . الخ . . . الخ . وكان الرب فى كل مرة يستأصل الخطاة منهم بكل حزم وبلا هوادة . .

هذا هو عمل المسيح فى الكنيسة الآن أيضاً « إلى أن ننتهى جميعاً إلي وحدانية الإيمان ، ومعرفة إبن الله ، إلى إنسان كامل ، إلى قياس قامة ملء المسيح . كى لا نكون بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم[2] » « لكى يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن ، أو شئ من مثل ذلك . بل تكون مقدسة وبلا عيب[3] » .

---

(١) رؤ ٢١ : ٢٧ (٢) أف ٤ : ١٣ (٣) أف ٥ : ٢٧

✞ من أراد أن يدخل إلى السماء ، ويرث الملكوت الأبدى لابد وأن يكون « قدوس بلا شر ودنس قد إنفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات[1] » .

وإلا ، هل نتصور إنه سيكون هناك خطايا أيضاً وغفران فى الحياة الأبدية ؟ قطعاً لا . لأن الموت [الذى هو أجرة الخطيئة[2]] لن يكون بعد[3] . أم هل سيعيد الله عملية التجسد والفداء فى السماء الجديدة ، من أجل إنسان أدخل الخطيئة إلى هناك ؟ حاشا ، فهذا مستحيل ، إن الداخل لميراث الملكوت ، لابد وأن يكون لديه إيمان لا يهتز بالله خالقه . كما إنه لا يجد فى دواخله أى نوازع شريرة من التى كان يلقيها الشيطان فى قلبه وقت أيامه على الأرض . . . وارث الملكوت لابد وأن يكون لديه وضوح رؤيا شديدة عن مكايد وحيل وخداعات الشيطان ، حتى لا ينخدع مرة أخرى وهو فى ميراثه الأبدى .

✞ الخبرات التى مرت ببنى إسرائيل فى البرية ، جعلتهم يحرصون جداً على الإلتزام بالله . لا سيما حينما وجدوا إنه بسبب فرد واحد ، هو عاخان بن كرمى ، صار تكدير لكل بنى إسرائيل وإنهزموا فى أرض الموعد ، لأن فى وسطهم حرام[4] . . . يالها من عبرة . لذلك فإنهم بمجرد أن سمعوا عن الأسباط التى فى عبر الأردن ، أقامت لهم مذبحاً غير مذبح الرب ، ذهبوا إلى هناك بإنزعاج وخوف ، لئلا يغضب الله على الجميع . . . ولكن لما علموا إنه مجرد مثال للمذبح كى يربطهم هم وأولادهم بمذبح الرب الحقيقى ، عادوا مطمئنين[5] .

---

(١) عب ٧ : ٢٦ (٢) رو ٦ : ٢٣ (٣) رؤ ٢١ : ٤
(٤) يش ٧ : ١٣ (٥) يش ٢٢

هكذا ، إنسان الله ، فهو حين يذوق مرارة الخطيئة وهوان الشر وحنظل الإثم . . . ويكون قد إختبر أهوال الإنخداع من مكر الشياطين ، تتحول كل هذه ، بعد غفران المسيح له ، إلى خبرات مخزونة فى القلب ، وذكرّيات يكنزها الله فيهم ، حتى لا يقبلوا أى إعوجاج فى مسيرتهم مع الله الأبدى .

فإحتمال السقوط فى خطايا للإنسان فى السماء ، ليس وارد بالمرة .

أولاً : لأن المجرب قد طُرح فى بحيرة النار المتقدة وفنى .

ثانياً : لأن السماء نفسها هى النقاء المطلق ، ولا يدخلها دنس أو نجس .

ثالثاً : طبيعة الإنسان تتغير على صورة المسيح المنزه عن كل شر .

رابعاً : وارث الملكوت سيكون على دراية بمصير الأشرار ذلك المصير الذى هو رذالة لكل ذى جسد كقول أشعياء النبى : « لأنه كما أن السموات الجديدة والأرض الجديدة التى أنا صانع تثبت أمامى يقول الرب ، هكذا يثبت نسلكم وإسمكم . ويكون من هلال إلى هلال ، ومن سبت إلى سبت أن كل ذى جسد يأتى ليسجد أمامى قال الرب . ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا علىَّ . لإن دودوهم لا يموت ونارهم لا تطفأ . ويكونون رذالة لكل ذى جسد[1] » .

---

(١) أش ٦٦ : ٢٢

٣٥ - هلم نفتخر بإلاهنا :

أين آلهتهم ، الصخرة التى إلتجأوا إليها ؟

(تث ٣٢ : ٣٧)

قبل إيمان الإنسان بالله ، الإله الحقيقى ، يكون متعبداً لآلهة زائفة . يقول عنها داود النبى : « لأن كل آلهة الأمم شياطين[١] » « أنت تعلمون إنكم كنتم أمماً منقادين إلى الأوثان البكم كما كنتم تساقون[٢] »

فتخيلوا معى حال إنسان يستيعن بالشيطان لمحاربة الشيطان ! يتفاوض مع عدوه ليستعين به على محاربته ! والشيطان داهية مكار ، فهو يتماشى فى تضليل الإنسان على أنه هو الإله المُعين ! ، فيتمكن من الإنسان أكثر ، ولا يهزمه فقط بل ويذله ويريه كل صنوف الهوان !

« لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم ... لولا أن صخرهم (أى الآلهة الزائفة التى إرتكنوا عليها) باعهم . والرب سلمهم . لأن ليس كصخرنا صخرهم ... لإن من جفنة سدوم جفنتهم ، ومن كروم عمورة ... أين آلهتم ، الصخرة التى إلتجأوا إليها ، التى كانت تأكل شحم ذبائحهم وتشرب خمر سكائبهم لتقم وتساعدكم وتكن عليكم حماية[٣] » .

« أصنامهم فضة وذهب ، عمل أيدى الناس . لها أفواه ولا تتكلم لها أعين ولا تبصر . لها آذان ولا تسمع . لها مناخر ولاتشم . لها أيد

---

(١) مز ٩٦ : ٥ (٢) اكو ١٢ : ٢ (٣) تث ٣٢ : ٢٩ - ٣٨

ولا تلمس . لها أرجل ولا تمشى . ولا تنطق بحناجرها . مثلها يكون صانعوها بل كل من يتكل عليها[1] » .

✞ بالرغم من كل هذا . . . لم يترك بنو إسرائيل إلهاً أو صنماً أو عبادة غريبة ، سواءً من الذين تركوهم فى مصر ، أم من التى وجدوها فى أرض كنعان وماحولها ، إلا وسرعان ما تعبدوا لها تاركين الإله الحقيقى !

فقد عبدوا العجل الذهبى متأثرين بالعجل أبيس الذى يعبده المصريون . وعبدوا حتحور ملكة السموات وبخروا لها فى مصر . كما عبدوا البعل والبعليم ، وبعل فغور ، وبعل ذبوب ، وعبدوا مولك ، وكموش ، والحية النحاسية ، وعبدوا الشمس.وآلهة الأشوريين ، وآلهة الصيدويين وآلهة موآب ، وآلهة بنى عمون . . . وذبحوا على المرتفعات وتحت كل شجرة خضراء لإغاظة الرب . . . بل أن الكهنة أنفسهم إحتقروا إسم الرب وتأففوا من خدمته !!

ونظر الرب الإله الحقيقى إلى كل هذا ، وإعتبرها خيانة ، وزنى روحى فى أعماق كيان الإنسان . . .

✞ لقد كان غاية الشريعة وناموس موسى فى العهد القديم هو إنتظار مجئ المسيا ، الإله المتجسد الذى كان هو المرموز إليه فى كل الطقوس والعبادات والنبوات . . . ولما جاء المسيح الرب فعلاً فى وسط اليهود ،

---

(١)مز ١١٥ : ٤٠ – ٨

تركوا قطار المسيحية يفوتهم دون أن يستفيدوا به ، بل ركلوه بأرجلهم ! فهم لم يكونوا أمناء مع الله بالنسبة لشريعة موسى . . . وبعد فوات الأوان عادوا يتمسكون تمسكاً أعمى بتلك الشريعة ، غير مدركين ليد الله التى تحرك التاريخ . . . لذلك لم يعرفوا زمان إفتقادهم[١] . ولقد سمعوا صوت المسيا ورأوه بأعينهم ذات يوم ، ولكنهم مرة أخرى قسوا قلوبهم[٢] . ترى ماذا بقى لهم الآن ؟؟؟

ليتهم يرجعون إلى المسيح الذى صلبوه ، فهو المسيا الذى أتى فعلاً ، ولم يعد المسيا المنتظر مجيئه ، ليتهم يرجعون ويؤمنوا به ، قبل مجيئه الثاني للدينونة .

✞ أن الذى يتعبد للإله الحقيقى ،يكون مثله على صورته ومثاله ، تجده مملوءً محبة وسلام لأن إلهه هو إله المحبة والسلام ، روحانياً ، لأن الله روح . . . يعمل للأبدية ، لأن الله أبدى . . . باذلاً الخير للجميع كمثل أبيه السماوى الذى يشرق شمسة على الأبرار والأشرار ، ويُمطر على الصالحين والظالمين[٣] .

مشكلة الذين يتعبدون لآلهة أخرى غير الله ، أنهم يتشكلون على صورتها ومثالها أيضاً !!

فالذين يتعبدون للأصنام وتماثيل الحجارة . . . يصيرون بلا روح والذين يعبدون آلهة الأمم الذين هم شياطين . . . يصيرون كمثل إبليس

---

(١)لو ١٩ : ٤٤ (٢) رو ١١ : ٧ (٣) مت ٥ : ٤٥

على صورته ومثاله فى الكذب والخداع وإيذاء الآخرين وتمنى هلاك الكل .

والذين يتعبدون للمال والمقتنيات ، والذهب والفضة يصيرون باردى القلب ، وسرعان ما تدب فى حياتهم الفساد كالسوس والصدأ[١] وسرعان مايكتنفهم السراق ليسرقوا ، ومن يتعبد لذاته وملذاته ، فهو إلي الزوال والفناء والعدم لأن ذات الإنسان هى من العدم . .

وهكذا دواليك . . .

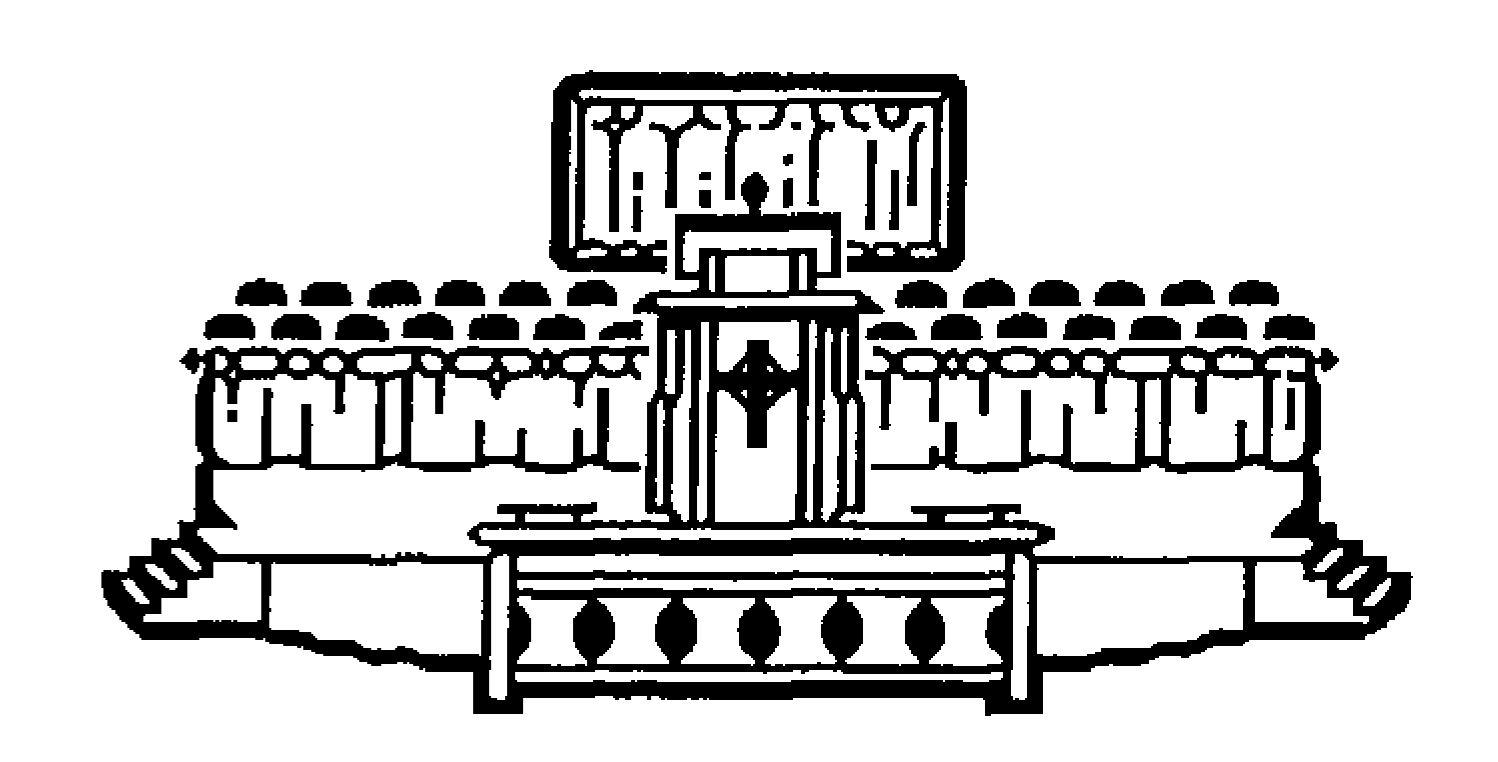
قل لى صفاتك الجوهرية ، أقول لك من هو إلهك الذى تعبده . . .

أما نحن . . .

✞ هلم نرنم للرب ، نهتف لصخرة خلاصنا[٢] . . .

✞ هو يدعونى أبى أنت . إلهى وصخرة خلاصى[٣] . . .

✞ حى هو الرب ومبارك صخرتي ومرتفع إله خلاصى[٤] . . .



---

(١) مت ٦ : ١٩ ، ٢٠ (٢) مز ٩٥ : ١ (٣) مز ٨٩ : ٢٦
(٤) ٢صم ٢٢ : ٤٧

ختام نشيد موسى :

« إنظروا الآن ، أنا أنا هو ، وليس إله معى ، أنا أميت وأحيى . إنى أرفع إلى السماء يدى وأقول حى أنا إلى الأبد[1] » .

ومن الرائع أن نطبق كل فقرة من هذه الآية على المسيح له المجد لنعلم إنه هو الرب الإله - يهوة - صخر الدهور ، المسيح الذى هو إله إبراهيم وإسحق ويعقوب .

* أنا أنا هو ... إن لم تؤمنوا إنى أنا هو تموتون فى خطاياكم[2]

* وليس إله معى ... وليس بأحد غيره الخلاص[3]

* أنا أميت وأحيى ... أنا هو القيامة والحياة[4]

* إنى أرفع إلى السماء يدى ... وأرتفع إلى السماء وهم ينظرون إليه[5]

* وأقول حى أنا إلى الأبد ... وهاأنا حى إلى أبد الآبدين[6]

✞ كما نجد فى خاتمة هذا النشيد الخالد : « تهللوا أيها الأمم شعبه ، يصفح عن أرضه ، عن شعبه[7] » لكى يفهم اليهود من جيل إلى جيل أن الأمم أيضاً مقبولون عند الله ... لأن الله إله الكون كله وليس لليهود فقط كما قال الرسول بولس : « أم الله لليهود فقط . أليس للأمم أيضاً . بلى للأمم أيضاً ، لأن الله واحد[8] » .

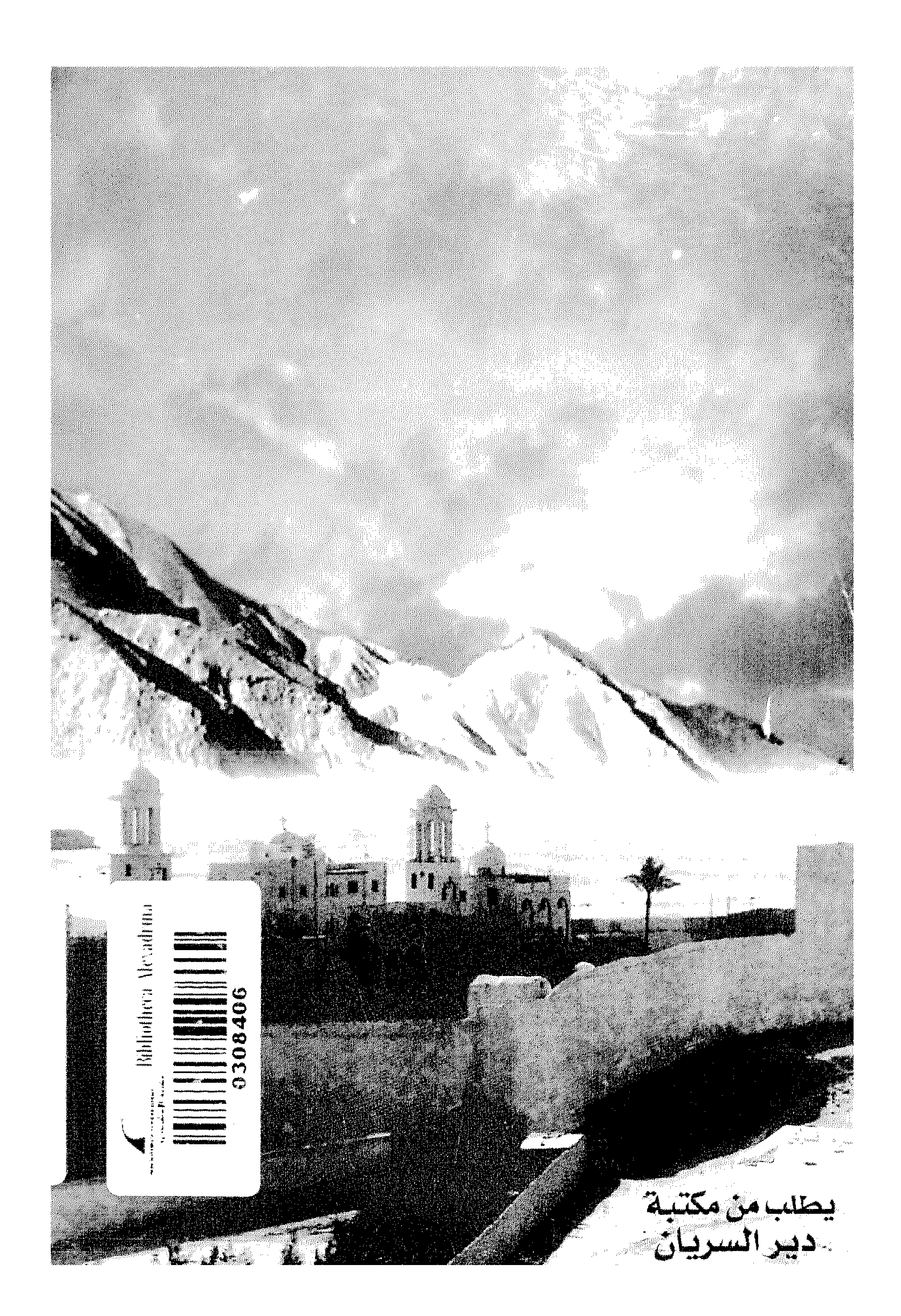
وليتهم يفهمون ...

---

(١) تث ٣٢ : ٣٩ ، ٤٠ (٢) يو ٨ : ٢٤ (٣) أع ٤ : ١٢ (٤) يو ١١ : ٢٦
(٥) أع ١ : ٩ (٦) رؤ ١ : ١٨ (٧) تث ٣٢ : ٤٣ (٨) رو ٣ : ٢٩

الفهرس


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية


يطلب من مكتبة
دير السريان